

مجنون ليلى

مأساة غرامية أدبية تاريخية ذات خمس فصول

تأليف

مارون عبود

مجنون ليلى
مارون عبود
2020
70
24×17
978-977-6688-90-2

عنوان الكتاب
اسم المؤلف
سنة النشر
عدد الصفحات
مقاس الكتاب
الترقيم الدولي



جميع الحقوق محفوظة للناشر دار المحرر الأدبي
للنشر والتوزيع والترجمة المشهرة برقم 24821 بتاريخ
1/10/2015 إن دار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع
والترجمة غير مسئولة عن آراء المؤلف و أفكاره ؛
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه و أفكاره

البريد الإلكتروني

tahreradbe@gmail.com

المحتويات

٩	أسماء الممثلين
١١	الفصل الأول
٢٧	الفصل الثاني
٤١	الفصل الثالث
٥٧	الفصل الرابع
٦٧	الفصل الخامس

لا تقولوا زمان قيس تولى
كان قدماً مجنون ليلي وحيداً
ومحبو ذا العصر أعظم نيلا
وغدا اليوم ألف مجنون ليلي

أسماء الممثلين

قيس: المجنون.

الملوّح: والدُ.

سعاد: أختُه.

ليلى: عشيقَة قيس.

مهدي: والدها.

زينب: أمها.

سعد: الأمير الذي يتزوَّجها.

علقمة: الطبيب.

جوان: عامل الخليفة.

بكر وخالد: خادمان.

أسد: عابر طريق.

رعاة، رسل، جارية، شعب.

الفصل الأول

بيت شعر في البرية

المشهد الأول

(قيس وحده)

أيا ليلَ زند البين يقدح في صدري
فلا تحسبي يا ليلَ أني نسيتمكم
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا
ألا ليتنا كنا غزالين نرتعي
ألا ليتنا كنا حمامي مفازة^٢
ألا ليتنا حوتان في البحر نرتمي
ألا ليتنا نحيا جميعًا وليتنا
ضجيعين في قبرٍ عن الناس معزلًا
عليك سلام الله يا غاية المُنَى
ونار الأسى ترمي فؤادي بالجمرِ
فإنّ مدى الأيام ذكرك في فكري
وما نعق الغربان في وضح الفجرِ
رياضًا من الجوزان^١ في بلدٍ قفرِ
نطير ونأوي بالعشيّ إلى الوكرِ
إذا نحن أمسينا نغور في البحرِ
نصير إذا متنا ضجيعين في قبرِ
ونُقَرَن يوم البعث والحشر والنشرِ
وقاتلتني حتى القيامة والحشرِ

^١ الجوزان: نوع من النبات، منها جوز الحمس؛ وهو ثمر شجرة هندية، وجوز المرج؛ وهو الكاكنج وهو صمغ شجرة تنبت في جبال هراة وسمغها لطيف في برودة كافورية.

^٢ المفازة: الفلاة التي لا ماء فيها، الجمع مفازات ومفاوز.

أه لو تعلمين يا ليلي مقدار محبتي لرقِّ قلبك على قتيل غرامك. أنتِ بين قومكِ تلتَهينَ
وأنا على نار النوى أتقلِّب!

نهاري نهاراً طال حتى مللتهُ وحزني إذا ما جئني الليل أطولُ
وكنتُ كذَّبَّاحِ العصافير ذائباً وعيناهُ من وجدٍ عليهنَّ تهملُ
فلا تنظري ليلي إلى العين وانظري إلى الكفِّ ماذا بالعصافير تفعلُ

لقد سار حبي سير الأمثال، وكثر في شأننا القيل والقال، ولكنني لا أبالي بكل ذلك
ما دامت ليلي راضيةً عني.

تقول العدا لا بارك الله في العدا لقد صدَّ عن ليلي ورثتُ رسائله
فلو أصبحتُ ليلي تدبُّ على العصا لكان هوى ليلي جديداً أوائله

فما أحلى تلك الأيام التي انفتح بها قلبي لنسيم الحُبِّ يوم كان الوُشاةُ غافلين عنَّا
ونحن نتعاطى كئوس الهوى.
جميلة أنتِ يا أياماً كنتُ بكِ وليلي راقدين في حُسن البرية لا تخترق صدورنا أسهُم
عيون الواشين.

تعشقتُ ليلي وهي غرٌ صغيرةٌ ولم يبدُ للأتراب من تديها حجم
صغيرين نرعى البُهْم يا ليت أنَّا إلى الآن لم نكبُر ولم تكبرِ البُهْمُ

المشهد الثاني

(قيس - ليلي - جارية)

(ليلى تدخل بغتة.)

حبيبي ما هذي الصباية والنجوى فقلبي من أمواه حُبِّك لا يروى
أروم لقاءً والزمان مُعاندي وليس لنا في شرع أهل الهوى فتوى

إِذَا كُنْتَ تَحْوِي مِنْ غَرَامِي ذَرَّةً
أَبَيْتُ وَمَا لِي فِي الدُّجَى مِنْ مُسَامِرٍ
فَأَهْلِي قُسَاةٌ لَمْ يَرِقُوا لِحَالَتِي
يَقُولُونَ خَلِّيْ مَجْلِسَ النَّاسِ جَانِبًا
فَلَا حَبْدًا النَّصْحَ الَّذِي يَنْصَحُونَنِي
فِعْنَدِي مَا تَنْهَدُ مِنْ ثَقْلِهِ رَضْوَى^٢
وَأَشْكُو وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ يَسْمَعِ الشُّكْوَى
وَمَا جَهِلُوا أَنِّي مِنَ الْحُبِّ فِي بَلْوَى
فَإِنَّ الْهَوَى يَسْرِي إِلَى الْعَيْنِ كَالْعَدْوَى
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَبَّ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى

قيس:

نَهَارِي نَهَارِ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَا
أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى
إِذَا مَرَّ يَوْمٌ مِنْ حَيَاتِي وَلَا أَرَى
تَضْيِيقَ عَلَيَّ الْأَرْضَ حَتَّى كَأَنَّي
لِي اللَّيْلِ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
وَيَجْمَعُنِي اللَّيْلُ الَّذِي الْهَمَّ جَامِعُ
خِيَالِكَ يَا لَيْلَى فَعُمْرِي ضَائِعُ
مِنَ الصَّبْرِ فِي سَجْنٍ، فَمَا أَنَا صَانِعُ؟!

ليلى:

قَدْ بَرَانِي الْهَوَى وَبَرَّحَ جَسْمِي
فَإِذَا سَرْتُ بَيْنَ قَوْمِي شَكُّوا
وَبِكَلِّ أَرَى بِحَبِّكَ يَا قَيْدِ
فَابِقُ يَا مُهْجَتِي أَلَيْفَ سُرُورِ
وَتَحَمَّلْتُ مِنْهُ شَرًّا وَبَالَ
أَنَا سَرْتُ بَيْنَهُمْ أَمْ خِيَالِي
سَ حَيَاةً تَحْيَا بِهَا أَمَالِي
فَسِوَاكُمْ مَا مَرَّ قَطُّ بِبَالِي

قيس:

أَحْبَبْتُ حَبًّا لَوْ تُحْبِبِينَ مِثْلَهُ
حَلِيفُ مَعَ الْغَزْلَانِ أَمَّا نَهَارُهُ
فِيَا نَفْسٍ صَبْرًا لَا تَكُونِي لَجُوجَةً
وَلَكِنَّ مَا هَذِي الْقَطِيعَةَ وَالْجَفَا
أَصَابِكِ مِنْ وَجْدِ عَلَيَّ جَنُونَ
فَحَزَنٌ وَأَمَّا لَيْلَهُ فَأَنْبِينُ
فَمَا قَدْ قَضَى الرَّحْمَنُ فَهُوَ يَكُونُ
فَقَدْ دَاخَلْتَنِي رَيْبَةً وَظَنُونَ

^٢ جبل في جزيرة العرب بالقرب من المدينة المنورة، يرد ذكره في الشعر العربي كثيرًا مثلًا للثقل والثبات.

ليلى:

كلانا مظهرٌ للناس بُغْضًا وكلُّ عند صاحبه مكيُّنٌ
وكيف يفوت هذا الناس شيءٌ وما في الناس تظهرهُ العيونُ
فطب نفسًا بذاك وقرَّ عينًا فإنَّ هواك في قلبي معيُنٌ

الجارية (إلى ليلي): إن أباكٍ أوشك أن يدخل فانتبهِي.
ليلى: اخرج يا قيسُ اخرج. الوداع الآن.
قيس: إلى الملتقى يا حبيبتِي.

المشهد الثالث

(ليلى - مهدي)

ليلى: مرحبًا يا والدي الحنون.
مهدي: وألف سلام يا عزيزتي كيف سبقتنا يا بُنية إلى هذا المكان، ومَن كنتِ تُحدِّثين؟ ألم يكن هنا ذلك العاشق الساقط؟
ليلى: ومَن تعني؟
مهدي: عنيُّ قيس الملوِّح يا عزيزتي الذي جعل عرضك مُضغةً في أفواه الناس، فالذي أراه يا بُنية هو أن تقطعي حبل العلاقة بينك وبينه لئلاَّ تجزينا إلى حربٍ كحرب البسوس^٤ وداجس^٥.

^٤ حرب البسوس: من الحروب الشهيرة في الجاهلية، جرت بين تغلب وبكر ودامت أربعين سنة، وسُميت بالبسوس؛ لأن سبب اشتعال الحرب جرح أصاب ضرع ناقةٍ للبسوس، وهي خالة جساس بن مرة، رآها كليب بن ربيعة التُّغَلبي ترعى في أرضه فرماها بسهمٍ أصاب ضرعها، فلمَّا رآنها البسوس صاحبها أخذت تُحمسُ بني قومها على الثأر لناقتها؛ فكمَن جساس لكليب ورماه فقتله، فثارت تغلب بقيادة المهلهل واشتعلت الحرب.

^٥ حربُ داجس: هي في الحقيقة حرب داجس والغبراء أو حرب السباق، جرت بين عبيسٍ ودُبَيان، ودامت زهاء أربعين سنة. وداجس اسم جواد والغبراء اسم فرس، والسباق بينهما كان سبب هذه الحرب، نبغ فيها أبطال عظام كعنترة بن شداد العبسي، وشُعراء عظام كزُهَير بن أبي سلمى وعنترة.

ليلي: حبُّ قيسٍ يجزُّ كلَّ هذا الويل؟

مهدي: نعم يا بنية، إنَّ غرام قيسٍ لم يسبقه إليه عربيٌّ يغلي في عروقه دم الشرف، ولا يرضى به والد ابنةٍ عُرِفَ بين قومه بعلوِّ المنزلة وعزَّة الجانب.

ليلي: ماذا أصنع يا أبي وحبُّه قد تمكَّن من قلبي ورضعتُ هواهُ مع اللَّبن.

مهدي: ويحك، أتُصرِّحُين بهذا ولا تخجلين؟! لقد نَضَبَ ماء الحياء من وجهك وأعمى الهوى بصيرتك، فأين حياء العذارى يا حرَّة^٦ العرب؟!

ليلي: رُحماك أبي؛ إنَّ الحُبَّ سلطان وله تعنو^٧ القلوب. ألم تحبَّ يا أبي؟ ألم تعشُق في زمانك؟!

مهدي: لقد عشقتُ، ولكن إلى ما وصل إليه هذا المجنون لم يصل أحد؛ فدرجة حُبِّه لا تُقاس وعرامه فوق غرام الناس!

ليلي: هو شاعرٌ يا أبي والشُّعراء يُغالون بكلِّ شيء، فأشفقُ على ابنتك واعلم أنَّني مجنونة في هواهُ؛ بعده يُقربني من الموت وبُقربه سعادتي الحقيقية.

مهدي: دعي هذه الأعداء الفارغة، واعلمي أنَّني لا أصبر على الإهانة، وأقسم برَبِّ الكعبة إذا وقعتْ عيني عليه في حَيْمَتِكَ قطعتهُ شطرينِ بحدِّ هذا المُهنَّد. ليلي ليلي، احذري فالعاقبة وَخيمة.

ليلي: رفقاً أبي. (تركع) أنا مُنطرحة على قدميك أسألك وأتذللُ إليك أن لا تأسر عواطفِي.

مهدي: انهضي يا قليلة الحياء، فلقد دنَّستِ بغرامكِ الفاسد هوى فتياتنا العذري.
ليلي:

ومن صرَّف الليالي ضاق صدري	أبي إنَّ الهوى العذريُّ عذري
أراك بفرطٍ وجدي لست تدري	فرفقاً بالقلوب أبي ولكن
وحلو لقائهم بالشهد يُزري	فبعد أحبَّتِي يُدمي فؤادي

^٦ الحرَّة: السيدة التي تنتمي إلى طبقة السادة، وكانت تُنادى بها كل عربيةٍ دلالةً على سُمُو مكانتها ورفعة نسبها.

^٧ تعنو: تسجد وتخضع.

مهدي: ما هذه الوقاحة! أتبوح بحُبِّها على مَسْمعي ولا تخجل. لقد حذرتكِ شرِّ العاقبة وأنا ذاهب فافعلي ما يحلو لك (يخرج).
ليلي: لا يحلو لي غير لقاء الحبيب، ولكن دون ذلك خُرط القتاد^٨ فمتى تُحطِّم قيود التقاليد وترتفع سُلطة الآباء والأمهات عن القلوب؟ هذه السلطة الجائرة التي لم يأمر بها الخالق ولم تنزل على نبيٍّ من الأنبياء. ويحكم أيها الآباء الأغرار! ألم تكونوا عُشاقًا قبلنا؟ ألم تذوقوا بليَّة الحب؟ فلماذا لا ترحمون؟! سوف تلعنكم الأعصار وكلُّ بلاء العاشقين يسقط على رءوسكم، ودم المحبين يصرخ طالبًا الانتقام منكم أيُّها الظالمون.

المشهد الرابع

(ليلي - جارية - مهدي)

جارية: هل من حاجة أقضيها لك؟
ليلي: لا. (تفكر).

(جارية تهتمُّ بالخروج.)

ليلي: ارجعي، ارجعي. أتعرفين ذلك الشاب الذي كان عندي منذ هُنيهة؟
جارية: تعنين قيس العامري؟

ليلي: هو، هو بعينه. اقصديه وقولي له: إنَّ مولاتي ليلي تُريد أن تراك فأسرع إليها فهي بانتظارك في المكان المعهود.

جارية: وأين هو الآن؟

ليلي: في الوادي.

جارية: أمرك يا سيدتي (تمشي لتخرج).

مهدي (يدخل بغتة ويُمسك الجارية بكتفها قائلاً): إلى أين يا رسول الخنا؟! فلولا أن يُقال خرَق حُرمة العرب لقتلتكِ في الحال. اخرجي يا خائنة قبح الله وجهك (يصفعها بيده). وأنتِ أيتها الابنة الطائشة، ألم أقل لك إنني أذيقك كأس الحُتوف إذا عرفتُ أنك تُحدِّثين هذا الشاب فيما بعد، فكيف تجرؤين على استدعائه إليك؟!

^٨ خُرط القتاد: القتاد شَجَر قاسٍ ذو سوك كأنه الإبر، وفي المثل: دونه خُرط القتاد؛ أي أنَّ الأمر بالغ حدِّ الاستحالة لصعوبته، فهو أصعب من احتمال خُرط القتاد.

الفصل الأول

ليلى: ما هذا الجور يا أباي؟ أين رحمتك الوالديّة؟!
مهدي: اخرسي ثكلتك أمك؛ ففحكتك لم تسبقك إليها ابنة من بنات الحسب.
ليلى: وظلمك لم يرتكبه سيد من سادة العرب.
مهدي: ما هذه الجسارة؟
ليلى: وما هذا البغي؟
مهدي: احذري الظهور بعد الآن من خباثك.
ليلى: هيهات أن يخفف هواه تحجبي؛ فهو مصور أمام عيني وإن لم تعتنق الأجساد
تتعانق الأرواح.
مهدي:

دواؤك في حدّ هذا المهنّد فلا بدّ من أن بصدرك يُعمد

ليلى: افعل وأرحني من هذا الشقاء.
مهدي: بل أنقذ شرفي من العار إذا فعلت.
ليلى: اقتلني ولا تُهني.

فالموت عذب في سبيل غرامه والموت فيه للمحبّ حياة

مهدي:

إنّ الشريف إذا تدنّس عرضه يغدو بقتل مُدنّسيه كريماً
ولأنّ قد دنّست عرضي فألحقي بالسابقين لكي أعيش عظيماً

(يستل سيفه مُحاولاً طعنها.)

ليلى: اضرب ولا تخف.

المشهد الخامس

(ليلي - مهدي - زينب - خالد)

زينب (تدخلُ بعجلةٍ وتتناول مهدي بذراعه): ما هذا الجنون؟! لقد أرعبت قلبي.
أقتلُ ابنتك؟!

مهدي: نعم، أقتلها لأنقذ شرفي من العار.

زينب: لا؛ هذا لا يكون. ألا تُشفق على شبابها الناصر؟

مهدي: لأنها لم تُشفق على مجدي والمفاخر.

ليلي: أيّ ذنبٍ اقترفتُ يا الله؟ ولماذا أضرمت بقلبي شعلة الحبِّ يا ربي؟ اقتلني

يا أبي إذا كان قتلي يلذُّ لك وبه سلامة شرفك.

مهدي: اصمتي واسلُكي طريق الآباء والأجداد.

ليلي: ومن منهم لم يعيش ولم يُحب؟

زينب: اسكُتي يا بُنية اسكُتي.

مهدي: يا خالد. يا بكر. يا خالد.

خالد: لبَّيك سيدي.

مهدي: انتظر قليلاً (يأخذ قلمًا وورقًا ويكتب).

زينب: ماذا تكتب؟ دَع الحماقة يا مهدي.

مهدي: بعد قليلٍ ستريين ما يكون.

زينب (على حدة): آه يا بُنية لقد كدّرت عيشنا بغرامك.

ليلي: ارحميني يا أمّاه، فأنت امرأة وتعرفين قلوب النساء. إنّ أبي قاسٍ فلا تكوني

مثله، وكوني مع ابنتك لا عليها.

مهدي (إلى خالد): خذ يا خالد هذا الكتاب وادفعه إلى الخليفة ابن مروان.

خالد: أمرك مولاي.

زينب: بربك ما كتبت له؟

مهدي: إصدار أمره بهذر دم قيس إذا انتَهك حُرمة شرفي فيما بعد.

ليلي: لم يَسْبَقْكَ إلى هذا أحدٌ يا قاسي.
زينب: اسْكُتِي يا ليلي.
ليلي: يَطْلُبُ قَتْلَ حَبِيبِي وَأَسْكُتْ؟!
مهدي: إن لم تَسْكُتِي أُسْكُتِكَ الموت (يخرج).

المشهد السادس

(ليلي - أمُّها - خالد)

زينب: ما هذا الجُنون يا بُنية؟ لقد كُنَّا عذارى ومِثْلَ حَبِّكَ لم نُحِب. ألم تَعْلَمِي أن والدكِ قد فعل ما فعل مُحَافِظَةٌ على شرفكِ؟
ليلي: آه يا أُمِّي لو كُنْتُ تَشْعُرِينَ شُعورِي لِأَشْفَقْتِ عَلَيَّ وَمَهَّدْتِ السَّبِيلَ لِعَقْدِ قِرَانِي.
زينب: لَعَيْنِيكَ أَفْعَلُ مَا تَرَوِمِينَ، فَاخْتَارِي مَنْ تُرِيدِينَ وَأَنَا أُمُهْدُ الْعَقَبَاتِ.
ليلي: إِذَا أَقْنَعِي وَالِدِي أَنْ يَزْفَنِي إِلَى حَبِيبِي.
زينب: هَذَا مُحَالٌ يَا لَيْلِي.
ليلي: إِذَا أَمُوتِ وَلَا أَسْفُ عَلَى الْحَيَاةِ.
زينب: يَا لِلْجُنُونِ! الْأَجَلَ شَابَّ تَمَوَّتِينَ وَبَيْنَ طُلَّابِكِ أَشْرَفُ مِنْهُ وَأَجْمَلُ؟!
ليلي: لَا دَخَلَ لِلشَّرَفِ وَالْجَمَالِ فِي الْحَبِّ؛ فَغَيْرُهُ لَا أَهْوَى أَبَدًا مَا دُمْتُ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ الْخَلِيفَةُ ابْنُ مِرْوَانَ.^٩
خالد: سَيِّدَتِي، مَوْلَايَ يَدْعُوكِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ صَمَّمَ النِّيَّةَ عَلَى مُغَادَرَةِ هَذِهِ الْبَقْعَةِ.
ليلي: يَا لِلْمُصِيبَةِ! وَمَا أَمْرٌ بِعَادِكَ يَا قَيْسِ!
زينب: تَنْبَهِي يَا بُنْيَّةُ فَقَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ (تخرج).

^٩ ابن مروان: هو الخليفة الأموي الخامس عبد الملك بن مروان (٢٦-٨٦هـ/٦٤٦-٧٠٥م)، وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ، وَتَوَفَّى فِي دِمَشْقَ، وَحَدَّ الْخِلَافَةَ بَعْدَ أَنْ قُضِيَ مُصْعَبَ وَعَبْدَ اللَّهِ ابْنِي الزَّبِيرِ. اشْتَهَرَ بِتَعْرِيبِ الدَّوَابِّ، وَبِتَعْرِيبِ الطَّرَازِ، وَبَسْكَ النُّقُودَ الذَّهَبِيَّةَ، دَامَتْ خِلَافَتُهُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ ٦٥-٨٦هـ.

المشهد السابع

(ليلي وحدها)

تُعَايِنِدُنِي الأَيَّامُ فِي وَصَلٍ مِنْ أَهْوَى
فِيَا رَبِّ لَمْ أَبْدَعْتَهُ الْبَدْرُ فِي الْبَهَا
تُحَمِّلُنِي الأَيَّامُ مَا لَا أَطِيقُهُ
أَلْقَى مَدَى الأَيَّامِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
أَحَاوِلُ إِرْوَاءَ الْغَلِيلِ بِنَظَرَةٍ
لِكُلِّ ابْنِ أَنْثَى فِي الْبَرِيَّةِ مَضْجَعٍ
كَطِيرٍ إِذَا أَلْقَى عَلَى الْغُصْنِ رِجْلَهُ
وَحَقُّ الْهَوَى لَمْ يَخْلُ قَلْبِي مِنْ الْهَوَى
أَمِنْ مَدْرِكٍ سَرَّ الْغَرَامُ وَكُنْهَهُ
أَذَلِكَ دَاءً قَاتِلٌ وَمِبْرَحٌ
أَقْيَسُ أَجْبِنِي هَلْ بِقَلْبِكَ دَرَّةٌ
أَيَا مِنْ عَلَى قَلْبِي جَنَى بَدَلَالِهِ
دَلَالًا فَإِنَّ الْقَلْبَ أَضْحَى بِنَظَرَةٍ
تَرَى عِنْدَكُمْ مَا عِنْدَنَا الْوَجْدَ وَالْهَوَى
هُوَ الْحَبُّ دَاءً قَدْ وَرَثْنَاهُ كُلُّنَا

فَأَلْتَمِسُ السَّلْوَى وَلَا أَجِدُ السَّلْوَى
وَأَنْزَلْتَ فِي ثَغْرِ لَهُ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى^{١٠}
مِنَ الصَّبْرِ إِنْ الصَّبْرُ أَثْقَلَ مِنْ رِضْوَى
رَقِيبًا فَيَالِلَهُ مِنْ هَذِهِ الْبَلْوَى
وَمَا ذَلِكَ الْبُرْكَانُ مِنْ قَطْرَةٍ يُرْوَى
وَلَكِنَّ قَلْبِي لَيْسَ يَلْقَى لَهُ مَأْوَى
يُطَارِدُهُ الصَّيَّادُ فِي ذَلِكَ الْمَثْوَى
فَمَا حَيْلَتِي وَالذَّهْرُ بَيْنِي وَمِنْ أَهْوَى
فِي شَرَحٍ لِلْعُشَّاقِ مَعْنَاهُ وَالْفَحْوَى
تُصَابُ بِهِ الْأَلْبَابُ عَنْ طُرُقِ الْعَدْوَى
مِنَ الْحَبِّ إِنْ الْقَلْبُ فِي نَارِهِ يُشْوَى
فَدَيْتُكَ جُدُّ لِي مَا عَلَى الْحَبِّ مِنْ دَعْوَى
أَسِيرًا مَعَ الْأَلْحَاطِ يُنْشَرُ أَوْ يُطْوَى
وَهَلْ نَقْتَمُ مِثْلِي أَنَا الْمَرُّ وَالْحَلْوَى
مِنَ الْبَدءِ فِي الْفَرْدُوسِ عَنْ أَمْنًا حَوًّا

ما هذا الصوت الرَّخِيمُ صَوْتُ شَبَّابَةٍ، مَا أَعَذَبَ هَذَا الصَّوْتُ!

^{١٠} الْمَنِّ وَالسَّلْوَى: الْمَنُّ كُلُّ مَا يُنْعَمُ بِهِ، وَقَطِيرَاتُ مَائِيَّةٍ تَتَعَقَّدُ عَلَى بَعْضِ الْأَشْجَارِ عَسَلًا وَتَجْفُ جَفَافَ الصَّمْغِ. وَالسَّلْوَى: الْعَسَلُ. وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الْمَنِّ وَالسَّلْوَى اللَّذَيْنِ أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِيَّةِ بِأَعْجُوبَةٍ مِنْهُ لِيَقْتَاتُوا بِهِمَا وَلَا يَمُوتُوا جُوعًا.

المشهد الثامن

(ليلى - الرعاة - خالد)

(أول يُعْنِي على شَبَابَتِهِ وهو داخل).

ثانٍ (يدخل من الشمال بيده عصا غليظة يسمع مواء القطيع من الخارج فيقول):
طق طق طق. (يضرب حَجْرًا إلى الجهة اليمنى ويقول) قُفَّ قُفَّ قُفَّ، الطقس جميل والقطيع
قد استمرأ المرعى.

ثالث: دعنا من القطيع فهذه الفسحة مناسبة للرقص والدبك.

ثاني: جر جر جر يس يس يس.

ثالث: دعنا من مخاطبة القطيع قلت لك.

ثاني: هو هو هو لع لع لع.

أول (يقطع العزف ثم يقول): ما بالكم لا ترقصون؟

ليلى: هنيئاً لكم أيها الرعاة ما أطيّب عيشكم!

ثاني: اعزف على لحن المواليا!

أول: يعزف على شَبَابَتِهِ.

الاثنان (ينشدان):

هيهات يا بو الزلوف عيني يا موالياً	بيني وبينك جبل وايش وصلك ليا
عالبير نشالي عالبير نشالي	مزنره بالكمر فوق الكمر شالي
يا الله يغيب القمر تاسلمك حالي	وتكون ليلة عتم والسرچ مطفياً

ليلى:

هيهات يا بو الزلوف عيني يا موالياً لا تكسروا خاطري بتتندموا علياً

(الرعاة عندما تبتدئ ليلى يُشيرون إلى بعضهم بالسكوت).

ثانٍ (همساً): أهذه ليلي؟

ثالث: هي بعينها. اعزف يا غانم اعزف.

(أول يعزف على شبَّابته كالأول).

ليلي:

وتقول صابُوني وتقول صابُوني
لو قطعوني شَقْفَ ألواح صابُوني
مرُّوا عليَّ العدا بالعين صابُوني
ما بحيد عن عشرتك يا نور عينيًّا

(تبكي وتُنشِف دمعها بمنديلها).

ثالث: ما بالها تبكي؟

ثان: هي عاشقة. أما عشقت أم عامر في زمانك؟

ثالث: أم عامر؟ على رأسي.

أول: فلنرقص. (يُهيئ شبَّابته فيدخل خالد) من هذا؟

خالد (يدخل ومعه خادم): سيدتي، إنَّ أمك تدعوك إليها فذهبي في الحال.

ليلي: وداعاً أيها الرُّعاة، وإنَّني أحسُّدكم؛ لأنكم ستظلُّون جيراناً للحبيب قيس. آه ما أمرٌ جفاك يا قيس! (تخرُج باكياً).

(خالد يبدأ بحلِّ حبال الخيمة ويُعاونه رفيقه ثم يخرجان بها).

أول: أعرفت إلى أين يذهب المهدي.

ثان: إلى جبل توباد.^{١١}

ثالث: فلنرقص ونغنِّ فللمهدي ويلي من يسأل عنهما.

أول: ومن تعني؟

^{١١} تَوْبَاد: وبعضهم يلفظها تَوْبَاد، جبل بنَجْد.

ثالث: عَنَيْتُ قَيْسَ الْمَلُوحِ. اعزِفْ لِنَدْبِكَ.

ثانٍ: مِسْكِينَانِ هَذَا الْعَاشِقَانِ.

رابع: السَّلامُ عَلَيْكُمْ.

ثانٍ: هَاتِي يَدَكَ، اعزِفِي يَا غَانِمَ.

أولٌ: يعزِفُ لِحَنِ رَقِصٍ يُعَرَفُ عِنْدَ الْعَرَبِ بِالذَّبَّكَةِ، وَالثَّلَاثَةُ يُشَبِّكُونَ أُنزَعَهُمْ وَيَرْقُصُونَ سَوِيَّةً وَيَغْنُونُ مَوْقِعِينَ نَشِيدَهُمْ عَلَى الرَّقْصِ وَالزَّمْرِ (وهذا الرقص وذاك الغناء يعرفهما العامة ومن شاء تمثيل الرواية فليسال عنهما).

المشهد التاسع

(الرعاة - قيس - عامل الخليفة)

(قيس يدخل فينقطع الغناء والرقص.)

رابع: اسْمَعُوا مَا يَقُولُ قَيْسُ.

قيس:

وساروا بليلى والكواكب طلَّعُ
فيا للعدا من صبوّة كيف أصنعُ
وما الناس إلا آلفٌ ومودُّعُ
فإن فؤادي عندك الدهر أجمعُ
له كبدٌ حرى عليك تقطُّعُ
وكلُّ غريب الدار بالشوق مولِّعُ
وكنت لريب الدهر لا أتضعُّعُ
ينال المني من كان باللحظ يقنُّعُ
أخو حَبَلٍ أوصاله تتقطُّعُ

ألا يا ظباء الحى أين ترَّحلوا
فأمرَضَ قلبي حُبُّها وطلابها
أأتبع ليلي حيث راحت وخيِّمت
فإن يك جُثماني بأرض بعيدة
ألا تتَّقِينِ الله في قتل عاشقٍ
غريبٍ مشوقٍ مولِّعٍ بدياركُم
فأصبحتُ ممَّا أوقع الدهر موجدًا
قنعتُ بلحظٍ منك ليلي وإنما
أبيتُ بروحاء الطريق كأنني

أول: طيب الله الأنفاس يا قيس.

ثالث (إلى الثاني): ماذا يقول؟ لم أفهم شعره، اشرح لي.

ثان: هل أنا أستاذ مدرسة! ما أبلدك!

قيس: آه! لم يبقَ غير الأطلال الدارسة؛ فلنسأل الرعاة عن المهدي. (إلى الرعاة)

أتعرفون أين ذهب المهدي؟

أول: إلى جبل توباذ. (إلى رفاقه) هلموا بنا نخرج فقد ذهب الزمان (يخرجون).

قيس:

أفُق عن طِلابِ الغِيدِ إن كنتَ تعقلُ	ألا أيُّها القلبُ اللُّجوجُ المُعدَّلُ
تماديك في ليلي ضلالٌ مُضللُ	أفُقُ قد أفاق العاشقون وإنما
فصبرُك فيما لا يُدانِك أجملُ	تَعزُّ بصبرٍ واستعنَّ بجلالِه
وأنتَ بليلى مُستهامٌ مُوكَّلُ	سلا كلُّ ذي ودٍّ علمتَ مكانه

ولكن أين الصبر للعاشق المتيم؟ وكيف يسلو عاشق مُغرم؟!

المشهد العاشر

(قيس - جواد)

جواد: سلام أيُّها الشاب.

قيس: وألف تحية أيُّها الكريم.

جواد: أنت قيس العامري؟

قيس: نعم.

جواد: أنذرك أن مولاي الخليفة قد أصدر أمرًا بهذر دمك إذا عدتَ إلى الاجتماع بليلى

ابنة المهدي؛ فكن على حذر، ولا تُعرض نفسك للخطر.

قيس: ما هذا الحُكم الجائر؟ ألي هذا الحدُّ رخص دمي؟

جواد: هذا لا يعنيني وأنا بريء من دمك، فأستودعك الله (يخرج).
قيس: مع السلامة، قاتل الله الظالمين، وما أمر عيش العاشقين!

لئن حُجبت ليلي وآلى أميرها	عليّ يمينًا جاهدًا لا أزورها
على غير شيءٍ غير أنني أحبُّها	وأنَّ فؤادي عند ليلي سَميرها
ألا فاقتُلوني إنَّ موتي طيبٌ	إذا كان في موت الحبيب سُورها

الفصل الثاني

هيئة الفصل الأول عيناها

المنظر الأول

المشهد الأول

(ليلي وحدها)

رأفةً في فؤاد ليلي المعنى
من زمان ويل الغرام أقاسي
إن شكوتُ الغرامَ قال المُحبُّ
كاد قلبي يذوب وَجَدًا وشوقًا
كنتُ أرجو اللقاء خابتُ ظُنوني
كلُّ أهلي عواذلٌ ويح قلبي
أيُّها اللائم المُعَنَّف دُعني
ما أُحِيلِي تذكّار عهد لِقانا
ليتنا نلتقي ويجمعنا الدهر
ففؤادي المُضنى أحبُّ فجنًا
وأراني ما نلتُ ما أتمنّى
ن إن شكوتِ الهوى فما أنتِ منّا
وزماني عليّ بالوصلِ ضنًا
كم مُحَبٌّ يا ناس قد خاب ظنًا
ليتهم يعرفون ما القلب كُنّا
فعذابي كالمهرجان وأهنا
يوم كُنّا ولا تسلّ كيف كُنّا
ر ونحيا وبالهُوى نتغنّى

مجنون ليلي

المشهد الثاني

(ليلي - زينب)

زينب (تدخل): ما هذه التهنّيدات يا بنتاه، لقد تركتينا على جمر الأحزان نتقلّب وأنت بأحزاننا لا تشعّرين. أبوك كاد يموت من فرط الأسى وأنتِ بغرامك لاهية!

بالله يا ناس ما أقوى مُصيبتنا الناس نائمة إذ نحن في سهر
وصحّ ما قالت الأمثال من قديم قلبي على ابني وقلبي ابني على الحَجَرِ

ليلي:

أقلام حتى بلاني الدهر بالضجر الـ أمّاه إن مُصابي ليس تحصره الـ
أهوى ولسْتُ أفوز الدهر بالوطر قد صرتُ ما بين عشاق الورى مثلاً
لكنّ قلبكم أقسى من الحَجَرِ قد رقّ لي الحَجَرُ القاسي فوا أسفى

زينب: يا بُنيّة، بحق أوجاعي ورُكوعي فوق سريرك، بحق إتعابي في سبيل تربيتك أن تنبذي غرام هذا الشابِّ ولكِ غنى عنه بواحدٍ من طُلابك الذين بينهم الأغنياء والأمرء وهم كثيرون.

ليلي: لا تزعجيني يا أمّاه؛ فلا أمير يُرضيني ولا غنيّ عن قيس يُغنيني. أنا أهواه ولا أهوى سواه، وحسبي أنّه مجنون بحُبِّي حتى لا أميل إلى غيره. وأي سعادةٍ للفتاة إذا اقترنتُ بمن ليس تهواه؟

زينب: أسأل الله أن يهديك يا بنية (تخرج).

ليلي: وأسأله أن يُرقّق قلبك عليّ يا أمي.

المشهد الثالث

(ليلي - قيس)

ليلي: ليتك سامع يا قيس تعنيف الأم وتهديد الوالد.

الفصل الثاني

قيس (يدخل): أنا سامع كل شيء يا حبيبتى (يركع).
ليلي: ما أحلى لقاك يا حبيبي، انهض يا مهجتي.
قيس:

قالوا جُننتَ بمن تهوى فقلتُ لهم
الحبُّ ليس يُفِيقُ الدَّهْرَ صاحبهُ
نعم جننتُ فهاتوا من جُننتُ به
الحبُّ أعظمُ ممَّا بالمجانينِ
وإنما يُصرعُ المجنون في الحينِ
إن كان يشفي جنوني لا تلوموني
ليلي: أه! ما أعذبَ لقاءك يا مهجتي!

فكم قد أردتُ الصبرَ عنك فعاقني
ويُنفي جفك النومَ مع كلِّ لذةٍ
هيامٌ بقلبي من هواك قديمٌ
ويُقلِّقني ذكرك وهو عظيمٌ
قيس:

أحنُّ إلى أرضِ الحجازِ وحاجتي
وما نظري من نحو نجدٍ بِنافعِ
أفي كلِّ يومٍ نظرةٌ ثم عبْرَةٌ
فما كلُّ ما تستنزلُ العينَ ماؤها
متى يَستريحُ القلبُ إمَّا مجاورٌ
خيامٌ بنجدٍ دونها الطرف يقصُرُ
فؤادي ولكني على ذاك أنظرُ
لعينيكِ يجري ماؤها ويحدرُ
ولكنها نفسٌ تذوب وتقطرُ
حزينٌ وإما نازحٌ مُتذكِّرُ؟

ليلي: لقد فطرتَ قلبي بأشعارك فأنا بغيرك لا أَرْضى ولو صارت السَّماءُ أرضًا.

وكم قائلٍ لي اسلُ عنه بغيره
فقلتُ وعيني تستهلُّ دموعها
لئن كان لي قلبٌ يهيمُ بذكره
فيا قيسُ جدُّ لي باللقاءِ فإنني
وألقي من الوجد المبرِّحِ سورةً
وإني لأستحييك حتى كأنني
وذلك من قول الوشاةِ عجيبُ
وقلبي بأكنافِ الحبيبِ يذوبُ
وقلبٌ بأخرَ إنها لقلوبُ
بحبِّك رهن والفؤاد كئيبُ
لها بين جلدي والعظام دبيبُ
عليَّ بظهر الغيب منك رقيبُ

قيس: أه من الرُقباء والعُدَّال، وويلي من الوُشاة اللُّؤام فقد طالما كدَّروا صفاء
أصحاب الغرام. أما أنا:

فلو أن ما بي بالحصى فلقَ الحصى وبالريح لم يُسمَعْ لهنَّ هبوبُ
ولو أن ما بي بالجِبال لهدَّمت وكادت جلاميد الصُّخور تذوبُ
تُذكِّرني ليلى على بُعد دارها وليلى قَتولُ للرِّجال خلوبُ
فويلي من العُدَّال لا يتركونني بِغميِّ أما في العاذلين لبيبُ
فإنَّ عشتُ لا أبغي سِواكِ وإنَّ أمتُ فما موتٍ مثلي في هواكِ عجيبُ
ولو أنَّني أسْتَغْفِرُ الله كلِّما ذكَّرتُكِ لم تُكْتَبْ عليَّ ذنوبُ

ليلي: أسمع وقع أقدام! هو أبي مُقبلٍ ... الويل لنا!

قيس: لا تخافي.

ليلي: قيس، اهْرُب.

المشهد الرابع

(ليلي - قيس - مهدي - خالد - بكر - زينب)

(مهدي يدخل ومعه بكر وخالد.)

ليلي: أبي، بِحَقِّكَ اقْتُلْني ودَعْه (تتمسك به).

(قيس يُظهر علامات الارتباك وينظر ليجِدَ مَنْفَذاً يفرُّ منه.)

مهدي: أمثَلُ قيس يدخل خِباء الحرائر^١ والعداري؟ رجالي، دُونكم هذا الوَعْد.

^١ الخِباء: كلُّ ما تَحْتَبئُ وراءه المرأة عن أعين الناظرين إليها، وهو هنا الخيمة.

الحرائر: جَمع حرَّة، وهي الفتاة العربية السَّيِّدة.

العداري: جمع عذراء.

الفصل الثاني

(بكر وخالد يهجمان على قيس فيفرُّ من أمامهما ويتبعانه إلى خارج الملعب.)

(مهدي يرفس ابنته ويجرد سيفه هاجمًا على قيس.)

ليلي (تسقط مغشيًا عليها وتصرخ): قتلتنِي يا قاسي.

مهدي (ينشغل بليلي عن اللحاق بقيس ويتقدّم إلى الباب وينادي): يا خالد، يا بكر، إليّ إليّ. (إلى الجمهور) آه من غرام هذه الابنة، ما أشده، ولولا الحنان الوالدي لقتلتها في الحال.

خالد: لبيك سيدي، لقد كدنا نودي بحياته لو لم تأمرنا بالرجوع.

مهدي (إلى خالد): أعد لها فراشًا. (إلى بكر) احرق رُقعة^٢ لننشقها (ثم يأخذ قليلاً من الماء وينضح به وجهها).

بكر يتقدّم وينشقها رائحة الرُقعة): مسكينة يا ليلي!

زينب (تدخل): قتلتها يا كافر. آه ما أقساک!

مهدي: احزسي يا فاجرة!

زينب: وا لهفي عليك يا ليلي!

مهدي: ساعديني لننقلها إلى فراشها (ينقلانها).

زينب (تجلس فوق رأسها باكية): ما أتعس حظك!

مهدي: خالد، عليّ بالطبيب.

(خالد يخرج بعجلة.)

ليلي (تهذي): حبيبي اهرب. أبي، رُحماك اقتلني. أبي، حبيبي، ليتني فداك! أمي!

أمي! (تتنسج).

زينب: عيون أمك أفريقي يا ليلي حبيبتني (تحركها).

ليلي (تستفيق): ما هذا أمي أنت هنا؟ ما أتعس حظي! صدري.

^٢ عادة درجت العامة على التوسل بها لمساعدة للمغمى عليه كي يعود إليه وعيه.

زينب: أتنالمين منه يا بُنية؟

ليلى: نعم. نعم.

مهدي: لا تجزعي، سيأتي الطبيب.

زينب: لقد كُنَّا في غنى عنه لولا قسوتك أيُّها الجائر.

مهدي: اخزسي!

ليلى: أبي رحمة!

المشهد الخامس

(علقمة - مهدي - زينب - ليلى - خالد - بكر)

علقمة: عم صباحاً أيُّها الأمير.

مهدي: مرحباً بالطبيب.

علقمة: أليلى هي المريضة؟ سلامتك يا ربّة العذارى!

ليلى: آه صدري.

زينب (إلى الطبيب): بحقك صدرها يؤلمها.

علقمة (يقترّب من ليلى ويجسّ نبضها): لا تخافي يا بُنية ستُشفين بإذن الله (يُعدُّ

دواءً من جُعبته).

مهدي: أمّن خطر عليها؟

علقمة: لا خطر الآن. (إلى زينب) اسقيها جرعةً والأمل بالشفاء الكبير.

زينب: اشربي يا بُنية، آه من هذه البلية!

ليلى (تجرع الدواء ثم يَضِيع رُشدها): قيس أين أنت حبيبي قد سببت لك الشقاء.

قاس أنت يا أبي! هل أراك يا قيس؟

علقمة: هيؤا بنا نخرُج وندعُها وحدها.

زينب: لا، هذا لا يكون.

علقمة: بلى سيّدتي فلا خَوف عليها (يخرجون).

المشهد السادس

(ليلي - عساف)

ليلي (هذيان): هل أرى قيسًا. أبي رُحماك اقتلني ودعه يعيش. (تستفيق) أين هم؟
لقد تركوني وحدي يا للقساوة ولشقاء المحبين (تُغطي رأسها بلحاف وتئن).
عساف (يدخل وبعد أن يسير خطوتين يقف قائلاً): أسمع شيئًا. ما هذا؟ (ثم يتقدم).

ليلي (تسمع خطاه فترفع اللحاف عن رأسها): من هذا؟ يا عابر الطريق رُحماك اقترب مني.

يا أيها الراكب المزجي^٢ مطيته
عرج ليذهب عني بعض ما أجد
فما أرى الناس من وجد تضمّنهم
إلا ووجدي بقيس فوق ما وجدوا
أهوى رضاه وإني في موذته
حتى إلى آخر الأيام أجتهد

عساف: حيّاك الله يا حرّة العرب، هل من طلب أفضيه لك؟

ليلي: إن كنت من أهل المروعة وكرم الأخلاق تفعل معي هذا الجميل؛ وهو أنك متى وصلت إلى تلك المعالم تستدلّ على بيت قيس بن الملوّح؛ فمتى اجتمعت به أقره مني السلام وقل له: إن ابنة عمك ليلي قد أضناها السقام من شدة الوجد والغرام، وهي لا تلتذ بطعام ولا تذوق أجفانها طيب المنام حتى صارت مثلًا بين النساء في سائر الأثناء. بربك اقترب وساعدني على النهوض.

^٢ زجّي الشيء: دفعه برفق، والمطية كل ما يمتطي من ناقة أو فرس، والمزجي مطيته: الذي يسوق مطيته برفق يحثها على السير.

^٤ قيس بن الملوّح: مجنون ليلي شاعر غزل من أهل نجد، هو قيس بن الملوّح العامري، أحب ليلي العامرية ورفض أهلها أن يزوجوها له، فجنّ بها حبًا وهام في الفلوات ينشدها الأشعار.

مجنون ليلي

عسّاف: أمرِك سيديتي. (يُجلسها).
ليلى: قدّم لي تلك الدّواة وذلك القِرطاس.
عسّاف: على الرّأس والعين.
ليلى: تقرأ وتكتب.

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني
وأبرزتني للناس ثم تركتني
فلو أنّ قولاً يكلم الجسم ما بدا
وأشمت بي من كان فيك يلوّم
لهم غرضاً أرمى وأنت سليم
بجسمي من قول الوشاة كلوم

ادفع له هذه الورقة عند وصولك إليه.
عسّاف: لبّيك يا بنت الكرام. (يخرج).
ليلى:

أه من لوعتي وفرط هيامي
فتمت تنقضي الحياة ويرخي
فغرامي قد حير الأفكارا
فوق ليلي الموت الزوأم ستارا

المنظر الثاني

(في بريّة)

المشهد الأول

(قيس - الملوّح)

الملوّح: ما هذا الحبُّ وما هذا الجنون يا ولدي فتبّ عن الهوى فقد هتكت نفسك
وصرت مثلاً ما بين الورى، وأحدوثه عند من يسمع، وعبرة لمن يرى؛ فارجع إلى صوابك.
قيس: دعني أبي ولا تلمني، بل لم ذلك القدير الذي أوقد بقلبي شُعلة المحبّة. أنا
سأموت بحبّها وعنها لا أرجع فلا تطمّع بالمحال.

الفصل الثاني

الملّوح: كلُّ ذلك لأجل ابنة عمِّك ليلي؟ فأنا أشير عليك أن لا تعود تذكرها بشفةٍ ولا لسان.

قيس: أبي، كلِّما حدَّثتني بهذا الشأن ازددتُ شوقًا وغرامًا وهاجتُ بي الأشواق وغلبتُ عليَّ عُصَّةُ الفراق.

الملّوح: إذا ليس في اليد حيلة!

قيس: بلى إذا شئت.

الملّوح: وما هي؟

قيس: هي أن تذهب إلى أبي ليلي وتخطبها لي فنصير حليَيْنِ عَوْضَ أن نكون عاشقين حليَيْنِ.

الملّوح (على حدة): ماذا أصنع؟ سأفعل ذلك قريبًا يا ولدي فطب نفسًا وقرَّ عينًا (يخرج).

قيس: لقد ذهب بالسلامة، فهل ينجح يا ترى؟ ولكن سيَّان عندي نجح أم لم ينجح فسأظلُّ أحبُّها وإن يكن.

أبي وابن عمِّي وابن خالي وخاليا	لقد لآمني في حبِّ ليلي قرابتي
بنفسي ليلي من عدوِّ وماليا	يقولون ليلي أهل بيتي عدوَّة
بشيءٍ ولا أهلي يُريدونها ليا	أرى أهل ليلي لا يُريدون بيعها
إليها وما قد حلَّ بي ودَّهانيا	فليت نسيم الرِّيح أدَّى تحيَّتي
وسادي لئلاَّ النوم يُذهب ما بيا	خليليَّ مُدًّا لي فراشي وارفعها
نتيجة ضوء الشمس منِّي سلاميا	وإن متُّ من داء الصبابة بلِّغا

المشهد الثاني

(قيس - عسَّاف)

عسَّاف: سلام يا أخا العرب.

قيس: ألف تحية ومرحبًا.

عَسَاف: منذ زمان وأنا أبحث عنك حتى اهتديتُ إليك.

قيس: وما تبغي؟

عَسَاف: بيدي كتاب أدفعُهُ إليك.

قيس: ومِمَّن هذا الكتاب؟

عَسَاف: من ليلي.

قيس: من ليلي؟

عَسَاف: نعم، وهي مريضة دَنَفَةٌ^٥ وهذا كتابها.

(قيس يأخذ الكتاب ويقرؤه بإمعانٍ ثم يقول):

وَأَنْتِ التِّي أَغْضَبْتِ قَوْمِي فَكَلْهَمْ بَعِيدَ الرِّضَى دَانِي الْقُطُوفِ كَاظِمِ
وَأَنْتِ التِّي كَلَفْتَنِي دَلِجَ الثَّرَى وَأَحْدَثْتِ قَرَحَ الْقَلْبِ فَهُوَ كَلِيمٌ^٦
وَأَنْتِ التِّي قَطَعْتِ قَلْبِي صَبَابَةً وَرَقَرَقْتِ دَمْعَ الْعَيْنِ وَهُوَ سَجُومٌ^٧

عَسَاف: مسكينة هي تلك الفتاة، فقد أصبحت أرقُّ من الخيال، وهي تنتظر لقاءك بفارغ الصبر.

قيس: أشكرك يا أخي على جميلك.

عَسَاف: أودِّعك وأدعو لك بالتوفيق (يخرج).

قيس: رافقتك السلامة. (يتمشى بعض خطوات ويقول):

شَكَوْتُ إِلَى سِرْبِ الْقَطَا إِذْ مَرَرَنْ بِي فَقَلْتُ وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيرُ
أَسْرَبَ الْقَطَا هَلْ مِنْ مُعِيرٍ جَنَاحُهُ لِعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ
وَكَأَنَّ قِطَاةً لَمْ تُعَرْنِي جَنَاحَهَا فَعَاشَتْ بَضْرًا وَالْجَنَاحُ كَسِيرُ
وَإِلَّا فَمَنْ هَذَا يُؤَدِّي رِسَالَتِي فَأَشْكُرُهُ إِنْ الْمُحِبِّ شَكُورُ

^٥ دَنَفُ المَرِيضِ، يَدْنَفُ دَنَفًا: تَقَلُّ مِنَ المَرَضِ وَأَشْرَفَ عَلَى المَوْتِ، وَدَنَفَةٌ مُشْرِفَةٌ عَلَى المَوْتِ حَبًّا.

^٦ دَلَجَ: مَشَى لَيْلًا، وَدَلَجَ الثَّرَى: إِذَا وَاصَلَ المَشْيَ لَيْلًا حَتَّى مُنْبَلَجِ الفَجْرِ حَيْثُ يَتَجَمَّعُ النَّدَى الثَّرَى.

^٧ السَّجُومُ: صِفَةُ لِلْعَيْنِ المِدْرَارَةِ، وَالدَّمْعُ السَّجُومُ: الدَّمْعُ الغَزِيرُ.

طوت أم عمرو حين ولت ركابها
 وحالت جبال البعد بيني وبينها
 سلوا أم عمر هل ينول عاشق
 ألا قل ليلي هل تراها مجيرتي
 إذا جلسوا في مجلس نذروا دمي
 ودون دمي هز الرماح كأنها
 وبان افترقي والذين أزور
 وهيئات مقصوص الجناح يطير
 أخو سقم أم هل يفك أسير
 فإني لها في ما لدي مجير
 فكيف تراها دون ذاك تجير
 توقد جمر ثاقب وسعير

المشهد الثالث

(قيس - سعاد)

سعاد: أخي، ما هذا البكاء والنحيب؟ فقد هزأ بك عابرو الطريق. أليس لهذا الداء
 دواء؟!

قيس: لا يا أختي، إنني بهذا الداء سأموت ورحم الله المحبين.

سعاد: كن جلوداً يا أخي واصبر.

قيس: كيف الصبر وليل تقاسي من العذاب أشكلاً وألواناً؟!

يقولون ليلي بالعراق مريضة
 سقى الله مرضى بالعراق فإنني
 فإن تك ليلي بالعراق مريضة
 أهيم بأقطار البلاد وعرضها
 سبنتي شمس يخجل الشمس نورها
 برى حُبها جسمي وقلبي ومهجتي
 فلا تعذلوا بل إن هلكت ترحموا
 وخطوا على قبوري إذا مت أسطراً
 فما لك لا تضحني وأنت صديق
 على كل مرضى بالعراق شفيق
 فإني في بحر الغرام غريق
 وما لي إلى ليلي الغداة طريق
 ويكشف نور البدر وهو شريق
 فلم يبق إلا أعظم وعروق
 عليّ ففقدت النفس ليس يعوق
 قتيل لحاظ مات وهو عشيق

سعاد: فديتُك يا أخي، وناشدتُك اللهُ أن تَسَلوَ تلك الفتاة.
قيس: وهل تُشترى السُّلوى وتُباع يا مُهجتي؟ وكيف أسلو وأنا:

إذا هتفتُ وِرْقَاءَ في رَوْنِقِ الضُّحَى على غُصْنِ بَانٍ أو غُصُونٍ من الرِّند^٨
بكيتُ كما يبكي الوليد ولم أكنُ جلودًا وأبديتُ الذي ما به أبدي
إذا وعدتُ زادَ الهوى لانتظارها وإن بخلتُ بالوعد متُّ على الوعدِ
وقد زعموا أنَّ المُحِبَّ إذا دنا يميل وأنَّ البُعدَ يَشْفِي من الوجدِ
بكلِّ تداوينا ولم يَشْفِ ما بنا على أن قُرب الدَّار خيرٌ من البُعدِ
على أن قرب الدار ليس بنافعٍ إذا كان من تهواه ليس بذِي عهدِ

المشهد الرابع

(الملوِّح - قيس - سعاد)

(الملوِّح يدخل.)

قيس: مرحبًا بوالدي العزيز.
الملوِّح: وما العمل يا بُنيّ ونحن لم نُفْلِح؟ لقد قابلنا الرجل بوجهٍ كالحِ وجبينٍ مُقَطَّبٍ.

قيس: ذلك ما كنتُ أتوقَّعه.
الملوِّح: وقد دفعنا له مائة ناقةٍ براعيتها فلم يقبل، وقال لنا: هذا داءٌ مُعْضِلٌ وأمرٌ مُشْكِلٌ. ما فعله أحدٌ غيري سابقًا فلا أدعُ العَرَبَ تقول عني إنني قد زوَّجتُ عاشقًا.
قيس (يتأوهُ ويتنهدُ وينشدُ):

ألا أيُّها الشيخُ الذي ما بنا يرضى شَقِيَّتَ ولا هُنِيَّتَ في عَيْشِكَ الخَفْضَا
أما والذي أبلى بليلى بليتي وأصفى بليلى من مودتي المحضَا

^٨ الرند: شجرٌ من شجر البادية طيبُ الرائحة.

الفصل الثاني

كَأَنَّ فَوَادِي فِي مَخَالِبِ طَائِرٍ إِذَا ذُكِرْتُ لَيْلَى يَشْدُ بِهَا قَبْضًا
كَأَنَّ فِجَاجٍ^٩ الْأَرْضِ حَلْقَةَ خَاتِمٍ عَلَيَّ فَمَا تَزْدَادُ طَوْلًا وَلَا عَرْضًا

الملوِّح: يَظْهَرُ أَنَّكَ عَنْ غَيْكِ لَا تَعُودِ.

قيس: لا.

الملوِّح: أَنَا قَدْ فَعَلْتُ الْوَاجِبَ، أَمَا أَنْتِ فَافْعَلِي مَا بَدَأَ لَكَ، هَلُمَّيْ بِنَا نَخْرُجْ يَا بُنَيَّةَ
(يَخْرُجَانِ).

المشهد الخامس

(قيس - عمر)

قيس:

تَكَادُ بِلَادَ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ بِمَا رَحُبْتُ يَوْمًا عَلَيَّ تَضِيْقُ
تَتَوَقُّ إِلَيْكَ النَّفْسُ ثُمَّ أَرُدُّهَا حِيَاءً وَمِثْلِي بِالْحَيَاءِ خَلِيْقُ
وَلَوْ تَعْلَمِينَ الْغَيْبَ أَيقِنْتِ أَنَّي حَبِيْبٌ وَأَنِّي لِلْحَبِيْبِ مَشُوْقُ
أَرُومٌ سَلُوْا النَّفْسَ عَنْكِ وَمَا لَهَا إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكَ طَرِيْقُ

عمر: حَيَّاكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ.

قيس: وَمَا وَرَاءَكَ يَا غَلَامٌ؟

عمر: كِتَابٌ مِنْ سَيِّدَتِي لَيْلَى.

قيس: أَلْفَ مَرْحَبًا بِكَ، هَاتِ الْكِتَابَ (يَأْخُذُهُ وَيَقْرُؤُهُ جَهْرًا).

أَيُّهَا الْحَبِيْبُ وَالسَّيِّدُ الْأَدِيْبُ، مُهْجَةُ الْفَوَادِ وَزِيْنَةُ الْأَمْجَادِ، مِنْ فِاقِ سَائِرِ الْأَنْامِ
بِالْكَمَالِ وَحُسْنِ الْخِصَالِ وَحِفْظِ الْعَهْدِ وَالزَّمَامِ وَالْمَحَبَّةِ الصَّالِحَةِ الْخَالِيَةِ مِنْ
الْآثَامِ، قَدْ بَلَّغَنِي مَا أَنْتِ فِيهِ مِنَ الشَّوْقِ وَالْغَرَامِ وَالْوَجْدِ وَالْهَيْامِ وَمُكَابَدَةِ
السَّهْرِ وَهَجْرَانِ الطَّعَامِ وَاحْتِمَالِ كَلَامِ اللَّوَامِ حَتَّى اعْتَرَكَ الْهُزَالَ وَصَرْتَ نَاحِلًا

^٩ الفج: الطريق الواضح بين جبَلَيْنِ، أَوْسَعُ مِنَ الشَّعْبِ، وَالْجَمْعُ فِجَاجٌ.

مجنون ليلي

كالخيال. وحيث الحالة هذه فاحضُر في نصف هذا الليل إلى وادي الأراك^{١٠} وأنا
أُفانيك إلى هناك. ولو خاطرتُ بنفسِي في هواك فلا يُساوي لذَّة رؤْيَاك.

يا مُنَيَّتِي أنت مقصودي ومَطْلوبي وأنت رَغْمًا عن الأعداء مَحْبوبي
إن تحتجِب عن عُيون الصبِّ يا أُملي ما أنت عن قلبي المُضنى بمحجوب

قيس:

ليلي لقد أضنى الفؤاد جفاك وأذاب أحشاء المُحبِّ نواك
أنت الحبيبة لا سواك من الوري فوَحَقَّ حُسنك لا أحبُّ سواك
أحيا على أمل اللقَاء هُنَيْهَةً ولعلَّ في وادي الأراك أراك

^{١٠} وادي الأراك: وإدِ قُرب مَكَّة المُكْرَمَة. وقيل: هو من مَواقِف عرفة بعضُه من جهة الشام وبعضُه من جهة اليمن. والأراك في الأصل شَجَر يُستظلُّ به، وترعاه الإبل.

الفصل الثالث

المنظر الأول

وادي الأراك

المشهد الأول

(قيس وحده)

وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
ويا سلوة الأحزان موعدك الحشر
وتنبت في أطرافها الورق الخضر
ويا حبذا الأموات إن ضمك القبر
أما وأحيا والذي أمره الأمر
وزرتك حتى قيل ليس له صبر
كما انتفض العصفور بلله القطر
فأبهت لا عرف لدي ولا نكر

أيا هجر ليلي قد بلغت بي المدى
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها
فيا حبها زدني جوى كل ليلة
تكاد يدي تندي إذا ما لمستها
فيا حبذا الأحياء ما دمت بينها
أما والذي أبكى وأضحك والذي
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى
وإني لتعروني لذكراك هزة
فما هو إلا أن أراك فجاءة

ولكن قد تأخرت عن القدوم، فهل في الأمر حيلة يا ترى؟ (يُخرج كتاب ليلي من جيبه يتأمل به ويقول) الخطُّ خطُّها ولا حيلة في الأمر. ها قد أقبلت!

المشهد الثاني

(ليلي - قيس)

ليلي (تدخل): سلامٌ أيُّها الحبيب (يتصافحان بالأيدي) فينشد قيس:

أنيري مكان البدر إن أفلَ البدرُ
ففيك من الشمس المُنيرة ضوءها
بلى لك نور الشمس والبدر كله
لك نظرة اللآء والبرق طالعُ
ومن أين للشمس المُنيرة بالضحي
وقومي مقام الشمس ما استأخرَ الفجر
وليس لها منك التبسُّم والثغرُ
وما حملت عينيك شمس ولا بدرُ
وليس لها منك الترائب^١ والنَّحر^٢
بمكحولة العَيْنين في طرفها فتر^٣

ليلي: آه كم أنت جميل يا حبيبي!
قيس: قُرْبُك أجمل يا حبيبتِي، ولكن ...
ليلي: لا تقل ولا تعتب يا حبيبي.

فلو أن ما ألقى وما بي من الهوى
تقطع من وجد وذاب حديدُه
ثلاثون يومًا كلَّ يومٍ وليلةٍ
بأركان رضوى دكَّ وهو مَشيدُ
وأمسى تراه العين وهو عميدُ
أموت وأحيا إنَّ ذا لشديد

١ الترائب: جمع تريبة، وهي أعلى الصدر، أو موضع القلادة.

٢ النَّحر: أعلى الصدر، مُرتكز العُنُق على الجذع.

٣ فتر الطرف: سكن واطمأن. طُرْف فاتر: ليس حاد البصر. وفتور الطرف صفة مُستحبة في أعين الفتيات.

قيس: أنا لا أجهل أنّ سلطان الهوى قهّار عنيد، وقيدهُ أشدُّ من سلاسل الحديد.

فوالله لا أدري على ما هجرتني أقطع حبل الوصل فالموت دونه فلو كان لي قلبان عشتُ بواحد رمّنتي يد الأقدار عن قوس محنة كعصفورة في كفّ طفل يهينها فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها	وأى أمور فيك يا ليل أركب وأشرب كأساً علقماً ليس يشرب وأبقيت قلباً في هواك يعذب فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرب تُقاسي عذاب الموت والطفل يلعب ولا الطير مطلق الجناح فيذهب
--	--

ليلي: لو كنت تعرفُ يا مُهجة الفؤاد ما أقاسي لأجلك من العذاب لعذرتني؛ فعندما رفض والدي طلب أبيك كأنّ الصّاعقة انقضّت عليّ. أحبك يا قيس، ولكنّ التقاليد تقفُ بوجهي، فماذا أفعل؟ أنا لا أقترن بسواك وإن أرغمتُ على ذلك.

قيس:

أحنّ إلى لثمّ الثغور الضّواجك وأصبو إلى ذات الصّبا من صبابتي صرمت جبال الوصل يا بنت مالك ملكيت فؤادي وامتحنيت صبابتي فلو كنتُ أدري أنّ قلبك سالمٌ ولو كنتُ أدري أين أنتِ مقيمةٌ على أنّه لو كان عندك بعض ما لنا تحت ظلّ الأيك ^٤ من جانب الحمى يُسمّونني في الحبّ مجنونَ عامرٍ حكمت فلا تطعين في دولة الهوى	وأهوى عناق البيض لون السّنايك إذا لم يكن لي في الهوى من مُشارك فيا ليت شعري أيّ واش وشى لك ومن دم قلبي قد خضبت بنانك من الحبّ ما أحرقت قلبي بنارك من الأرض لم يبعد عليّ مزارك تحمّل قلبي من هواك لذابك مواقف تشكو شرح حالي وحالك ولولا هواك كنتُ سيد مالك ولاً فرقي واصنعي ما بدا لك
--	---

^٤ الأيك: الشّجر العالي المُلتف.

ليلي: حبيبي، لا تجرح فؤادي بهذه الأقوال، ولا تزد عذابي عذابًا، فيكفيني ما ألقىه من أهلي. أنا أهواك ولكن دون قربك أهوال؛ فالوداع الآن فإنني أخاف من العيون.
قيس: وداعًا يا حبيبة القلب (تذهب).

المشهد الثالث

(قيس وحده)

ألا زعمت ليلي بأن لا أحبها
بلى والذي نادى من الطور عبده
لقد فضلت ليلي على الناس مثلما
تداويت من ليلي بليلى من الهوى
مفلجة الأسنان لو أن ريقها
هي البدر حسنا والنساء كواكب
يقولون مجنون يهيم بذكرها
إذا ما نظمت الشعر في غير ذكرها
فلا أنعمت بعدي ولا عشت بعدها
مضى لي زمان لو أخير بينه
لقلت ذروني ساعة قرب مهجتي

بلى والليالي العشر^٥ والشفع^٦ والوتر^٧
وعظم أيام الذبيحة والنحر
على ألف شهر فضلت ليلة القدر^٨
كما يتداوى شارب الخمر بالخمير
يداوى به الموتى لقاموا من القبر
فشتان ما بين الكواكب والبدر
فوالله ما بي من جنون ولا سحر
أبي، وأبيها، أن يطاوعني شعري
ودامت لنا الدنيا إلى ملتقى الحشر
وبين حياتي خالدًا أمد الدهر
على غفلة الواشين ثم اقصفوا عمري

^٥ الليالي العشر: الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان.

^٦ الشفع: الزوج من العدد، وهنا يوم الأضحى.

^٧ الوتر: الفرد من العدد. وهنا يوم عرفة.

^٨ ليلة القدر: ليلة مباركة أنزل فيها القرآن، وهي إحدى الليالي الوتر من العشر الأخيرة في رمضان. ويُقال: إنها السابعة.

المنظر الثاني

(خيمة من الشعر)

المشهد الأول

(مهدي - زينب - سعد - بكر)

مهدي: لقد تفاقم الطلاب حول بابنا وفاقوا الجراد عدًا وليلى لم ترتضِ بواحدٍ منهم! لقد جُنَّتْ بحبِّ ذلك المَجنون وأنا لا أُسَلِّمُ بذلك ولو هُدِرتِ آخرَ نقطةٍ من دمي، جاء والدهُ خاطبًا ابنتي فرفضتُ وهيئات أن أَرْضَى.
زينب: إذًا يحلُّ لنا أن نقتلُ هذه الابنة ونطرحها بين براثن الموت، فهذا لعمري مُنتهى الظلم!

مهدي: إذا كنتِ تُشفقين عليها فساعديني على إقناعها وأنا مُستعدُّ أن أُرْفَها إلى أميرٍ عظيم جليل القدر رفيع المقام.

زينب: أظنُّها لا ترضى، ولو كان الخليفة ابن مروان.

مهدي: ألا ترضى بالأمير سعد بن منيف؟!

زينب: إنَّها لا ترضى سعدًا بغير وجه قيس.

(سعد يدخل.)

مهدي (إلى زينب): هذا هو العريس. أهلاً بالأمير سعد.

سعد: حيَّك الله أيُّها الأمير.

مهدي: يا بكرُ هات القهوة. إنَّني أترقَّبُ قدومك لأعطيك الجواب النهائي؛ فقد قرَّرتُ أن أُرْفَ إليك ابنتي ليلي، وذلك في القريب العاجل، فبعد قليلٍ أخطبها بالأمر وأرسل وراءك أحد أعواني وسيان عندي رضيت أم أبت.

(بكر يقدِّم القهوة.)

سعد: أشكرك أيُّها الأمير فقد أوليتني شرفاً عظيماً.
مهدي: فاذهب إذًا غير مأمور وجهز معدّات العرس؛ فبعد هنيهة يُكتب، وقد قُضي الأمر، وعن قريب تدخل ليلي.
سعد: أودّعكم إذًا (يذهب).
مهدي وزينب: مع السلامة.
زينب: إذًا على هذا عوّلت؟!
مهدي: نعم، فإنّا رضيتُ جبرّتُ خاطري، وإن رفضتُ قطعْتُ حبلَ وريدها^٩ بحدّ هذا المهنّد.

المشهد الثاني

(زينب - مهدي - ليلي)

ليلى (تدخل): عمّا صباحًا يا والديّ.
مهدي: مرحبًا بالابنة العزيزة.
زينب: اجلسي بقربي يا عزيزتي.
مهدي: لقد انتشر صيتك يا بنية في بلاد العرب، وخطبك مني السادة أصحاب المناصب والرُتب، وأنا لا أصغي لخطبة خاطب ولا لطالب طالِبٍ حتى خطبك الأمير الشريف سعد بن منيف، وهو كثير المال محمود الخصال، تحلّى بالأدب والجمال، وأتصف بالهمة والكمال؛ ولهذا زوجتُك به دون الرجال؛ إذ لا بدّ للمرأة من زوج يلمّها ويفرّج همّها.
ليلى: أبي بحقّك ارحمني.
مهدي: لا رحمة ولا شفقة، فإنّا فعلت كما أقول كنتِ العزيزة عندي وإلّا فنثقي وتأكّدي أنكِ مائتة لا محالة.

^٩ الوريد: عرق في العنق ويُقال له: حبل الوريد، وهما في العنق وريدان ينيضان أبدًا بالحياة. وقطعتُ حبل وريدها: ذبحتها.

ليلي: هذا أمرٌ لا يتمُّ أبداً، ولو متُّ قهراً وكمداً.
 مهدي: احرسي يا شقيّة، فلقد تمّاديتِ في قَحَتِكَ (يلطمها على خدّها).
 زينب: مهلاً، فما هذه الأعمال التي تحطُّ من مقامنا بين العرب؟!
 مهدي: أنا ناهبٌ وسأبعثُ وراء الأميرِ فيما العرسِ وإما الرّمسُ (يذهب).
 ليلي: آه ما أحلى الرّمسُ! كم في القبر من أنس!
 زينب: ما هذه الحمّاقَة يا بُنيّة؟! لأجل رجلٍ تُضحّين حياتك، فلو خيّرني بين كل
 الرجال وحياتي لقلتُ لهم حياتي.
 ليلي: لا يا أمّي، فلو كنتِ تتشعّرين بعذابي وآلامي المُبرّحة لأزحيتِ عن قلبي هذا
 الحمل الثقيل. آه يا قيس ليتك ترى!
 زينب (تبكي): ماذا أصنع؟! ألهمني يا ربّاه. (إلى ليلي) سأذهب يا بُنيّة لعلني أُرُدُّ
 والدك عن هذا العزم.
 ليلي: أجرك عظيم يا أمّاه؛ لأنك تُخلّصين اثنين من الموت. بحقك يا أمّاه ابدلي جهدي
 وخلصينا.
 زينب: لا حاجة إلى تشديد عزمي.

المشهد الثالث

(ليلي - بكر)

ليلي:

فحذارٍ من قتلِ المُحبِّ حذارٍ	حُكِّم المَحَبَّةَ في البريّةِ جارٍ
كم للهوى العُذريُّ من أَعذارٍ	يا ناسٍ رفقاً فالحيّاةِ مَحَبَّةَ
تاللهِ ذا من أغربِ الأسرارِ	لله ما أحلى الهوى وأمرُّه
لي راحمٌ في هذه الأمصارِ	يا قيس حُبُّك قد برى جسدي وما
بسلاسل التقليدِ والإجبارِ	فالوالدان يُقيّدان عواطفني
قد حللتهُ مَشِيئةُ الجبّارِ	فكأنَّ قلبي ملكهم ودمي لهم
ن ضحية لجماعة الأغرارِ	جاروا عليّ وشاةً ربّي أن أكو

مجنون ليلي

يا نفس صبرًا واحملي جَزَعًا ولا تتذمّري فكذاك شاءَ الباري
قد أحرقوا قلبي بنار غُرورهم يا ربّ فاحرق مُحرقِيّ بناري

بكر (يدخل): سيدتي، لقد أرسلني مولاي والدك؛ لكي أقول لك لتكوني على استعداد؛ فهو قادم مع الأمير سعد.

ليلى: وغيرَ هذا ماذا قال؟

بكر: لم يُقل شيئاً، وقد أمرني أن أُعجل بالرجوع، فالوداع الآن (يخرج).

ليلى: ما أحلى الموت! إلى متى يا ربّ تظلُّ المرأةُ مُقيّدةً بسلاسل التقليد؛ يحكم أبواها على قلبها يُقيّدونها بمن يَشَاءون لا بمن تَشَاء! أه ما هذه السُّلطة الجائرة!

المشهد الرابع

(يدخل مهدي وسعد وزينب وزُمرّة من الفتيان.)

مهدي: هو ذا عريسك يا ابنتي العزيزة، قد اخترته لك من بين البشر لتكوني له خاضعةً ومُحترمةً، فاشكُري الله الذي أولاك هذا الحظَّ السعيد.

ليلى: فليكن ما تشاء يا أبي.

سعد: لي الشرف بأن أكون صهرك أيها الأمير العالي المقام.

نشيد العرس

(يختاره جوق الممثلين ويُنشدُه الممثلون المذكورون.)

مهدي: حمدًا لله الذي بارك اجتماعنا، ونسأله أن يجعل قران العروسين مقرونًا بالصِّفاء والبنين. الآن أرونا أيها الفتيان من ألعابكم ورقصكم ما يُطرب الفؤاد وينفي الهمَّ والكدر.

الفَتِيَان: واحد يعزف على الشبّابة والباقون يرقصون ويدبكون ويغنّون حسب العادات العربية. ولجوق الممثلين أن يختاروا ما يعلمونه من هذه الأغاني وأساليب الرقص. وإذا كان مَنْ يرقص بالسيف والترس فذلك جميل إذا أمكن. وعند النهاية يقول المهدي: **مهدي:** شكرًا لمن جمع القلوب بكلمة. والآن يجب أن نخرج لنقوم بالواجبات الدّينية الواجب أن يُحتفل بها في مثل هذا المقام.

(الجميع يخرجون يهزجون بالغناء المعروف عند العامّة «بالحدو»):

يا مِيرَنَا يا مِيرَنَا اليوم كمل سعدنا
نحننا رجالك كلنا يا مِيرَنَا ويا عريسنا

(الستار)

المنظر الثالث

(في بريّة)

المشهد الأول

(قيس وحده)

تذكّرتُ ليلى والسّنين الخواليَا وأيام لم يعدي على الناس عاديَا
فيا ليلَ كم من حاجةٍ لي مُهمّة إذا جئتكم بالليل لم أدِر ماهايا
خليليّ إلاّ تبكياني فأرتجي خليلاً إذا أجريتُ دمعي بكاء ليا
فلا أشرف الإيقاع إلاّ صباية ولا أنشد الأشعار إلاّ تداويا
وقد يجمع الله الشّيتتين بعدما يظنّان كلّ الظنّ أن لا تلاقيا
وخبرْتُماني أنّ تيماء^{١٠} منزلٌ لليلي إذا ما الصّيفُ ألقى المراسيا

^{١٠} تيماء: واحة في شمالي جزيرة العرب، جنوبي دومة الجندل، بالقرب منها «الأبلق» حصن السّموعل.

فما للنوى يرمي بليلى المراميا
تواشوا بنا حتى أخلّي مكانيا
وداري بأعلى حزموت^{١٢} أتانيا
قضى الله في ليلي ولا ما قضى ليا
فهلأ بشيء غير ليلي ابتلانيا
يكون كفافا لا علي ولا ليا
من الناس إلا بل دمعي ردايا
سهيل^{١٣} لأهل الشام إلا بدا ليا
علي فلن تحموا البكا والقوافيا
فهذا لها عندي فما عندها ليا
وقد عشت دهرًا لا أعد اللياليا
أحدث عنك النفس بالليل خاليا
وما زادني الواشون إلا تماديا
وبالشوق مني والغرام قضى ليا
بوجهي وإن كان المصلّى وراثيا
إثنين صليت العشا أم ثمانيا
وأشبهه أو كان منه مدانيا
فمن لي بليلى أو فمن ذا لها بيا
فيا ليتني كنت الطبيب المداويا
ولولا سواد المسك ما كان غاليا
أرى حاجتي تُشرى ولا تُشترى ليا

فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت
إذا ما جلسنا مجلسًا نستلذه
ولو كان وإش باليمامة^{١١} داره
خليلي لا والله لا أملك الذي
قضاها لغيري وابتلاني بحبها
فيا رب سؤ الحب بيني وبينها
فما سُميت عندي لها من سميّة
ولا سرت ليلًا من دمشق ولا بدا
فإن تمنعوا ليلي وطيب حديثها
فأشهد عند الله أني أحبها
أعد الليالي ليلة بعد ليلة
وأخرج من بين البيوت لعنّي
وما زادني الناهون إلا صباية
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا
تراني إذا صليت يمتت نحوها
أصلي فلا أدري إذا ما ذكرتها
أحب من الأسماء ما وافق اسمها
خليلي ليلي أكبر الحاج والمنى
يقولون ليلي بالعراق مريضة
يقولون سواد الجبين زميمة
فوالله ما أرجو من العيش بعدما

^{١١} اليمامة: من مقاطعات نجد، وهي اليوم واحة في المملكة العربية السعودية تُدعى العارض.

^{١٢} حزموت: منطقة جنوبي شبه الجزيرة العربية على خليج عدن وبحر عمان. والشاعر هنا يُشير إلى بُعد المسافة.

^{١٣} سهيل: نجم يمانيّ قيل عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي القيظ. وهناك قول: وأنى يلتقي سهيل والسهي. والسهي نجم آخر صغير يختفي بين بنات نعث، وهو من النجوم الشامية، لذلك لا يلتقيان.

قتلتُ ليلىَ إخوةً ومَوالِيا
أشدَّ على رِغمِ العِداةِ تصافِيا
خِليَينَ إلَّا يَطْلُبانِ التَّلَاقِيا
يَرومُ سلَواً قلتُ أُنَى لِمَا بَيا
فشأنُ المَنايا القاضِياتِ وشانِيا
وأنتِ التي إن شئتِ أنعمتِ بالِيا
لعلَّ خيالاً منكِ يلقى خيالِيا
أصانعِ رحلي أن ليلىَ جِذائِيا
شمالاً تنازعتُ الهوى عن شِمالِيا
وإنِّي لا ألقى لها الدَّهرَ راقِيا
علينا فقد أمسى هوانا يمانِيا
وحبَّ إلينا بطنُ نَعمانِ وادِيا
عليَّ الهوى لَمَّا تَغَنَّيْتُمَا لِيا
أبالي دُموعِ العينِ لو كنتُ خالِيا
إلى من تشيها أو لمن أنتِ واشِيا
فزِدْني بَعينِيا كما زِدْتها لِيا
وإن كنتُ من ليلى على الناسِ طاويا
لِي النَعشِ والأكفانِ واستغفروا لِيا

وتُعرضِ ليلى عن كلامي كأنني
فلم أرَ مثْلَينا خِليَ صِبايةِ
خِليَينَ لا نرجو لقاءً ولا نرى
يقولُ أناسٌ علَّ مجنونَ عامرِ
إذا ما استطال الهجرِ يا أم مالكِ
فأنتِ التي إن شئتِ أشقيتِ عيشتي
وإنِّي لأستغشي وما بي نَعسةٌ
إذا سرتُ في أرضِ الفِضاءِ رأيتني
يمينا إذا كانتِ يميناً وإن تكن
هي السُّحرُ إلَّا أنَّ للسُّحرِ رُقيَّةٌ
ألا أيُّها الرِّكبُ اليمانونِ عرَّجوا
أسألكم هل سال نَعمانُ^{١٤} بعدنا
ألا يا حمامي بطنِ نَعمانِ هَجَّتُمَا
وأبكيتماني وسطِ صَحبي ولم أكن
ألا أيُّها الواشي بليلى ألا ترى
فيا رب إذ صيرتِ ليلى هِي المُنَى
على مثلِ ليلى يقتلُ المرءَ نفسهُ
فأمَّا وقد ضنَّوا بليلى فقرَّبوا

المشهد الثاني

(قيس - الملوِّح - سعاد)

الملوِّح (يدخل): هو هنا يا بُنية، هو هنا.

^{١٤} هو نَعمانُ الأراك، وإدِ يَنبُتُ فيه الأراكُ يصبُّ إلى «ودان» بين مكة المكرمة والطائف، بين أدناه ومكة نصف ليلة، ونَعمانُ أيضاً وإدِ قريب من الفُراتِ على أرضِ الشام، ولكن الأول هو المعنِيُّ هنا.

سعاد: ما باله يبكي؟
الملوّح (إلى سعاد): قد جنى عليه الحبُّ. لهفي عليك يا وّدي.
قيس:

وقد خبّروني أنّ ليلي تزوّجتَ ولا بدّ لي من أن أُلقي حليلها
فإن كان مثلي لا ألمها على الهوى وإن كان دُوني بئس ما قد قضى لها
وإن كان من أوباش^{١٥} ما حوت القرى لقد تعسّت ليلي وأختت خليلها

سعاد: ومن أين عرف بزواج ليلي؟
الملوّح: لا أدري. (إلى قيس) مرحبًا يا بُني.
قيس: وألف تحيةً.
الملوّح: لقد أشقيت نفسك وأشقيتنا، فدع هذا الغرور.
قيس: خلني يا أبي وشأني، فإنك تزيد بكلامك هذا أشجاني، فقد قضى الأمر وبلغ
السيل الزبي^{١٦}!

متى نلتقي حتى أقول وتسمعا فقد كاد حبل الوصل أن يتقطعا
بكت عيني اليمنى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبكتا معا
أما وجلال الله لو تذكّر ينني كذكري ما كففت للعين مدمعا
بلى وجلال الله ذكري لو انه تضمّنه صم الصفا لتصدعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني على كيدي من خشية أن تقطعا
فليست عشيّات الحمى برواجع إليك ولكن خلّ عينيك تدمعا

الملوّح: وماذا تفعل الآن. ألا تذهب معنا؟

^{١٥} الأوباش: الأخلاط، والسفلة. والمفرد وبش.

^{١٦} بلغ السيل الزبي: مثل يضرب عند بلوغ الأمر أقصاه. والزبي جمع زبية وهي ذروة الرابية التي لا يصلها ماء، وهي كذلك حفرة في مكان عال يصاد بها الذئب أو الأسد.

الفصل الثالث

قيس: لا يا أبي؛ فهذه السماء خيمتي منذ الآن.
الملّوح: الله من الغرام فهو الويل والشقاء. سيري بنا.
سعاد: أبي، أنتركه هنا؟ (إلى قيس) أخي بحقك فلنذهب.
قيس: قلت لكما اتركاني.
الملّوح: بل نأخذك معنا.
قيس: لا، هذا لا يكون (يختبئ).
الملّوح: فلنذهب يا بنية؛ فجرح الهوى ما له دواء (يخرجان).

المشهد الثالث

(قيس - سعد - غلام - أسد)

قيس (يدخل):

إليك عني فإنني هائمٌ وصبُّ
لو أنهم سألوا من بالغرام قضا
لقال صادقهم إن قد بلى جسدي
ضافت علي بلاد الله ما رحبت
البين يؤلمني والشوق يجرحني
كيف السبيل إلى ليلي وقد حجت
أما ترى الجسم قد أودى به العطبُ
هل فرجت عنكم مذ متُّم الكربُ
لكن نار الهوى في القلب تلتهبُ
يا للرجال فهل في الأرض مطربُ
والدار نازحةٌ والشمل منشعب
عهدي بها زمنًا ما دونه حُجب

سعد:

ومن عجب جنونك في فتاةٍ
أيا مجنون كم تهوى بليلى

قيس:

وما أكثر الأخبار ليلي تزوجت
تُرى هل يوافي بالطلاق بشيرُ؟

ومن أنت يا رجل حتى تحدّثني بمثل هذا الكلام؟

سعد: أنا هو زوجها سعد.

قيس:

بَعَيْشِكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلِي قبيل الصبح أم قبَلتَ فاها
وهل دارت يداك بِمَنْكَبِهَا وهل مالت عليك ذؤابتاها^{١٧}

سعد (يضحك): اللهمَّ إِذَا حَلَفْتَنِي فَنَعَمْ.

قيس:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتِ تَحْظِي بِقُرْبِهَا وتلتئمُ فاها أو تَضْمُ ثديها
وتعتنق الأرداف منها وخصرها وتنشُقُ من ليلي العشيّة رِيَّاهَا

سعد: دع هذا الجنون يا مَفْتون، واحذِرْ سطوة الأعوان، فقد صدر أمر أمير المؤمنين بهذُر دمك ثانية إذا كنتَ لا تعود عن ذكر هذه الجارية التي فضحتَها في الأشعار وهتكتَها في سائر الأمصار.

قيس (يُنشِد وهو في اضطرابٍ مزيد):

عفا الله عن ليلي وإن سفكت دمي فإني وإن لم تَجزني غير عاتبِ
عليها ولا مثلي لليلي شكايّة وقد يشتكّي المبلَى إلى كلِّ صاحب
يقولون تُبُّ عن ذكر ليلي وحبّها وما خِلتُني عن حبِّ ليلي بتائب

سعد: الجنون فنون (يخرج).

قيس: آه من الدَّهر وأحكامه والليالي وجورها!

غلام: سلام أيُّها الشابُّ الأديب.

قيس: وبعد السلام يا غلام؟

غلام: كتاب من سيّدتي ليلي (يدفعه إليه).

^{١٧} الذُّؤابة: ناصية شَعر الرّأس، أو مَنبت الناصية من الرّأس، وذؤابتاها: خصلتان من شعرها، أو جديلتاها.

قيس:

إذا جاءني منها الكتاب بعينه خلوتُ بنفسي حيث كنت من الأرض
وإني لأهواها على كلِّ حالةٍ وأقضي على نفسي بها بالذي تقضي

(يقرأ الكتاب جهراً):

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اعلم يا بن العم
— وذاك الله عاقبة الضير والغم — أنه قد أوحشني فراقك وآلمني اشتياقك، وقد
مرَّ عليَّ زمان وأنا مواظبة على الأحزان، لا أرى طريقاً للمفرِّ ولا قراراً للمُستقرِّ
إلى أن ضاق صدري وقلَّ صبري وتواترت عليَّ الأسقام من كثرة البكاء وقلَّة
الطعام، ولا شكَّ بأنَّ حياتي في هذه الدُّنيا صارت قصيرة، وأيام إقامتي يسيرة؛
حيث لم يُعد لي صبر على الفراق، واكتوى قلبي بنيران الوجد والاشتياق، وما
بقي في الأمر إلا التسليم والانقياد على ما قدره علينا رب العباد.

(يهزُّ رأسه) آه من الزمان! ما أقساه! وما أتعَسَّ حظُّ العاشقين بين البرابرة الذين
لا يفهمون لغة القلوب! (يا غلام أمهل لتأخذ لها الجواب) يكتب هنيهة، ثم يدفع الكتاب
إلى الغلام قائلاً له: سرُّ بأمان الله.

غلام: يذهب مُبدياً إشارة الخضوع.

قيس:

أحنُّ إلى ليلي وإن شطَّت النوى بليلي كما حنَّ اليراع المُشطُّ
يقولون ليلي عذبتك بحبِّها ألا حبًّا ذاك الحبيب المعذب
فلو تلتقي في الموت رُوحِي ورُوحها ومن دون رَمْسِينَا من الأرض منكب
لظلَّ صدَى رَمْسِي وإن كنتُ رَمَّةً لرَمْسِ صدَى ليلي يهشُّ ويطرَّبُ

أسد: يمرُّ بالمرسح كعابر طريق على ظهره جراب وبيده عصاً غليظة يتوكأ عليها.

قيس: إلى أين يا عابر الطريق؟

أسد: إلى حي بني عامر.

قيس: ناشدتك الله قف، فلي كلمة أحملك إيّاها.

أسد: قل ما تشاء يا أديب.

قيس: متى وصلت إلى تلك المنازل والأعلام أقر ليلى مني السلام وأنشدتها:

حلفتُ يميناً لم أحنكِ موَدَّةً وإني بكم حتى المماتِ ضنينُ
تُخبرني الأحلام أني أراكمُ فيا ليت أحلام المنام يقينُ
وإن فؤادي لا يلين إلى هوى سواك وإن قالوا بلى سيلينُ

أسد: وهل أنت مضمنى بها إلى هذا الحد؟

قيس: نعم، فلقد:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً كان قبل الهوى خلواً
ألا حبباً أطلال ليلي على البلا وما بذلت لي من نوالٍ وإن قللاً
فلا يتمادي العهد إلا تجددت موَدَّتُها عندي وإن زعمت الألاً

أسد: ناشدتك الله عد عن هذا الحب فهو يُزديك.

قيس:

ألا قل لمن أمسيت مضمنى بحبها ومن هي رجاء النفس بالبُعد والقرب
أناخ هواها في فؤادي فصادني ومن ذا يطيق الصبر عن مجمل الحب
فلا غرو أن الحب للمرء قاتلٌ يُقلِّبه ما عاش جنباً إلى جنب
ويسقيه كأس الموت قبل أوانه ويورده قبل الممات إلى التُّرب
فإن كان ذنبي حب ليلي وأهلها فلا غفر الله المهيمن^{١٨} لي ذنبي

^{١٨} المهيمن: الحافظ، وهي من أسماء الله تعالى، في معنى المؤمن من آمن غيره من الخوف، فتكون المهيمن بمعنى المؤمن على خلقه والقائم بأعمالهم وأرزاقهم وأجالهم.

الفصل الرابع

خيمة من الشعر

المشهد الأول

(ليلي وحدها مريضة في فراشها.)

شئت يا ربّ أن أعيشَ شقيهُ
وقضى والدي بتنكيد عيشي
كم فتاةٍ جنى عليها أبوها
فرّق الوالدان بالجور ما قد
سوف يبكي التاريخ ليلي وقيساً
ليتني لم أكن ولا كان قيسُ
فلتكن يا رحمان تلك المَشِيَّة
قاتل الله سُلطة والديّه
ورماها بجرٍّ شرٍّ رزِيّه^١
جمَعتهُ يدُ الإله القويّه
إنّ ليلي وقيس أنكى ضحيّه
فحياة الاثنين معنى الرزِيّه

^١ الرزِيّة: المصيبة. والجمع: رزايا.

أتشعر يا قيسُ في وحدتك بآلام ليلي وعذاب قلبها؟ إنَّ نفسي حزينَةٌ حتى الموت!^٢
لعن الله السلاسل القاسية التي حبَّكُنَّها يدُ التقاليد وطوَّقت بها عُنقي. وقُبِّحت يا سلطة
جائرة يتلذَّذ بها الوالدان يَجوران على عاشِقَيْن، قائلين هي طريق الشرف نسلُكها. فُقُبِّحت
يا شرفاً تُكدِّر صفو الحياة إلى الممات، الحبُّ من الله والشرف من الناس، فهل نترُك سنَّة
الله ونتبَّع تقاليد الناس الفاسدة؟ أيُّها الوالد القاسي ألم تكن فتى عاشقاً تتضايق من
خيالك إذا وقف بينك وبين من تهواه؟ يا ليت كلمتي نافذة في عشائر العرب لأطلق القلب؛
ذلك الطائر الصغير من قفص التقاليد المحبوك من أشواك العوسج والقتاد.^٣ ولكن قد
كُتِبَ الشقاء للحبِّ وسيبقى شقيّاً إلى الأبد. يا قيس، يا قيس، يا سلوة الأحران.

سلام عليكم لا سلام ملامية ولكن سلام للمحبِّ عطورُ
لقد عيل صبري بعدكم وتكاثرتُ هُمومي ولكنَّ المُحبَّ صبورُ
فصبراً على ريب الزمان وجوره لعلَّ صُروف الدائرات تدورُ

(تتكلَّم على زندها وتبكي.)

المشهد الثاني

(ليلي - سعد)

سعد (يدخل): حبيبتي ما بالكِ كئيبة وما بال عينيكِ تذرفان الدموع؟!
ليلي: دَعني يا سعدُ فِعِيشتي مَوت.

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميتُ ميِّتُ الأحياء

^٢ نفسي حزينَةٌ حتى الموت: قول إنجيلي خاطبَ به السيد المسيح تلاميذه بطرس، ويعقوب، ويوحنا، قبل
صلاته في الجسمانية. راجع (مز ١٤ : ٣٤).

^٣ القتاد: شجرٌ صُلب له شوْكٌ كالإبر.

الفصل الرابع

سعد: ما هذه النِّعْمة الجديدة؟

ليلى: نعمة قلب مُعَدَّب.

سعد: بحقك صرّحي فإنني أتعدَّبُ كلِّما رأيتك حزينة، ولا تخفي داءك فلعلني أجد له الدواء.

ليلى: هيهات فقد استحکم الدَّاء وعزَّ الشِّفاء.

سعد: لا صعبَ في الكون وميدان الأمل فسيح واسع.

ليلى: لِغَيْرِي يَا سَعْد.

سعد: ولماذا؟

ليلى: غَيْرِي مريض الجَسَد أما أنا فمريضة القلب والجسد.

سعد (على حدة): إِنَّ فِي الأَمْرِ لَسَرًّا صرّحي ولا تخافي.

ليلى: ألم تسمَع ما قاله الشاعر:

بالسرِّ إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تُباحُ

سعد: يَظْهَرُ أَنَّكَ عَاشِقَةٌ.

ليلى: فقد انتزعته من قلبي يوم زُففتُ إليك، ولكنَّ أعراضه لم تزل تُعاوِدني فدعني

أُعاركه فإمَّا الغلَبَة وإمَّا القبر، ولا تُجادلني بعد الآن.

سعد (على حدة): قاتلَ اللهُ الغرام، لقد كنتُ شاعراً بالأمك وقد علمتُ أنك حاضرة

الجسم غائبة القلب.

ليلى (على حدة): أَشائِرُ الحَبِّ لا تَخْفَى على أَحِدٍ.

سعد: ولو لم تَبْدَأِي بالحديث لما فاتحتك بهذا الأمر.

ليلى: أنت رزينٌ عاقلٌ ولا ذنبٌ عليك، إنَّما ستسقط خطيئتي على رأس والدي الظالم

الجائر.

سعد: لقد وقع المحذور فلا تجزعي (على حدة) مصيبة والله. أنا ذاهب لألاقي والدك

إلى الصَّيد بوادي الأراك (يخرج).

مجنون ليلي

المشهد الثالث

(ليلى - رسول)

وادي الأراك وما أحبُّ ثراكا وألذُّ لُقيا الحبِّ في مَغناكا
يا قيس ما أحلى المَحَبَّةِ والهوى لو كنتُ أظفَرُ ساعةً بِلِقاكا
لكنَّ دون الوصلِ أهوالٌ وهيبٌ هات اللقاء فقد حُرِمتُ لِقاكا

آه من نظرةٍ إلى وجهك يا قيس! وا شوقي إلى ساعةٍ نختلي بها وما علينا رقيب ولا عدول،
ولكن هذا حظ ...

رسول: سلامٌ يا سيِّدتي.

ليلى: وعليك يا رسول الخير.

رسول: هذه رسالة من سيِّدي قيس.

ليلى: من قيس؟!!

رسول: نعم (يدفع الرسالة إليها).

ليلى: آه يا حبيب القلب. تفضُّ الرسالة وتقرأ:

من قيس بن الملوِّح الهائم الوامق،^٤ والحبیب الصادق، إلى سيِّدة الملاح وكوكب
الصباح، دُرَّة الصَّدَفِ وياقوتة الشرف، من قد اتَّصفت بالمحاسِن البهيَّة
والصِّفات العلية والآداب السنيَّة ليلي العامريَّة، إنَّني بينما كنتُ مُنشوقًا إلى
استِماع أخبارِك واستكشافِ آثارِك، واستماع لفظِك ومُشاهدة أنوارِ جمالِك؛
إذ وردتُ عليَّ رسالتك المرسومة بسِيماء المحبَّة الفائقة، المُسفرة عن ازدياد
الصُّحبة الصادقة، فتلقَّاهما القلب بالفرح وزال عنه الغمُّ وانشرح، غير أنَّه لا
خفاك ما أنا فيه من القلقِ والكدرِ والضَّجَرِ وكثرة البُكاء والسَّهر، وكيف أنَّني
تركتُ الحدَّ المألوف وانفردتُ في الرِّوابي والكهوف، أهيِّمُ مع الوحوش والغزلان
وأنْتقل من مكانٍ إلى مكان، وحيدًا عُريانًا ذليلًا مهانًا أُناسي ضرًّا^٥ وأحزانًا، لا

^٤ ومق فلانًا أحبَّه، والوامق اسم الفاعل: المُحب.

^٥ الضُّرُّ والضُّرُّ: سوء الحال والشدَّة.

الفصل الرابع

يستقيم لي حال، ولا يرتاح لي بال، حتى صرتُ نَحِيلاً كالخيال؛ وذلك من كثرة الأشواق، وتباريح الهوى ومرارة الفراق. فقاتل الله أباك الغدار وبلاءه بالويل والدِّمار؛ لأنه كان سبب بليّتي وطردني عن أهلي وعشيرتي، وما كفاه ذلك حتى إنه زوّجك برجلٍ غريب واختار البعيد على القريب، وهذا شرّح ما بي من الشقاء والتعذيب، وإني لك على طول الزمان حبيب.

ليلي: آه من جور الليالي وظلم الآباء. (إلى الرسول) وهل هو مُنْشَرِحِ الخاطر؟
رسول: من أين الانشراح فهو تائهٌ شريد لا يلوي^٦ على شيء.
ليلي:

لم يكن المجنون في حالةٍ إلا وقد كنتُ كما كانا
لكنّه باح بسرّ الهوى وإنّني قد زدْتُ هُجراننا

اذهب أيّها الرسول وقلْ له عني هذين البيتين:

وإني لأرجو قُربكم ووصالكمُ ومن دونكم أمرٌ لديّ مُخيفُ
فلا تعجبوا إن كان في الحبِّ صادقاً فإنّني لكم دون الأنام حَليفُ

رسول: أمرك سيّدتي (يخرج).

ليلي: آه يا قيس.

المشهد الرابع

(ليلي - سعد)

سعد (يدخل): من كنتِ تحدّثين؟ ولماذا تُردّدينِ ذكر قيس؟
ليلي: لا هذا ولا ذاك.

^٦ ذهب لا يلوي على شيء: ذهب مُسرّعاً، لا يقف ولا ينظر.

سعد: بلى سَمِعْتُكَ تقولين:

لم يكن المجنون في حالةٍ إلا وقد كنتُ كما كانا

وقلتِ أيضاً للغلامِ قل لقيسٍ عني:

وإني لأرجو قُربكم ووصالكم ومن دونكم أمرٌ لديّ مُخيفٌ

ليلى: ألم تكفني أحزاني حتّى أزيد بليّتي بلوى فدعني وشأني.

سعد: أكذا تُخاطبِ الجارية سيّدها؟!

ليلى: أنا الجارية وأنت السيّد؟! لعن الله من جعلنا كذلك.

سعد (يرى الرسالة فيهجم ويتناولها): ما هذا الكتاب؟ (يفضّه ويقرأ به ثمّ يقول)

لقد كُشِفَ المُحِبُّ فَلَئِمَّ ساقِطَةً لِاقِطَةٍ.^٧

(ليلى تنهض من الفراش وتهجم لتأخذ الكتاب.)

سعد (يرفُسُها برجله ويصفَعُها بيده): ويلك يا خائنة!

ليلى: ويحك يا جبان!

سعد: احزسي، فقد انفضَحَ السُّرُّ!

ليلى: لا أستحي بحبِّ قيس، ولا أخاف. أحبُّه أحبُّه أحبُّه، فافعل ما بدا لك.

سعد: ستذوقين الحِمامَ بحدِّ هذا المُهنِّد، وسيجندل قيس على الثرى.

ليلى: أحبُّ قيساً وإنني:

إذا عثرتُ رجلي بدأتُ بذكره وأحلمُ في نومي به وأعيشُ

إذا ذُكرَ المجنون زالتُ بذكره قوى النفس أو كاد الفؤادُ يطيشُ

توعدني قومي بقتلي وقتله فقلتُ اقتلونني واتركوه يعيشُ

^٧ مثل يُضْرَب لطلبِ التحفُّظ عند النُطوق، أو للتشفيِّ ممَّن لا يتحفُّظ في ما يقول. ومعناه: لكلِّ كلمةٍ ساقِطةٌ أدنُّ لِاقِطَةٍ؛ أي: ما من كلمةٍ تُقال إلا وتُعرف.

سعد: لا يَعيِش أحَدٌ مِنكُمَا. قاتلكِ اللهُ من ساقِطَة.

المشهد الخامس

(مهدي - سعد - ليلي)

مهدي (يدخل): ما هذا الجِدال؟

سعد: أمرٌ يا مولاي تصطُكُ لهُ الرُّكْب!

مهدي: قلْ ما ذلك الأمر؟

سعد: ليلي خانَتْ عهودَ الزَّواج.

مهدي: ابنتي كذا فعلت! ومن أين عرفت؟

سعد: من هذا الكتاب، تفضَّل واقرأ، فقد أصابك من لعنةِ المجنون أكبرُ حصَّةٍ وأوفى

نصيب!

مهدي: أنا؟

سعد: نعم، تفضَّل واقرأ.

مهدي (يأخذ الكتاب ويقرأ): أنتِ يا ليلي تُراسِلين هذا المجنون وتكشِفين لهُ أسرار

الهُيام؟! ألم ترتجِفْ أعصابِكِ عندما كتب: قاتَل اللهُ أبك الغدَّار وبلاه بالويل والدِّمار؟

ويحك يا شقيَّة! يقول هذا وترضين عنه يا ممقوتة يا ناكِرة الجميل.

ليلى: كفاك يا أبي، أتظلمُني وتدَّعي الإحسان؟ قَبَّح اللهُ كلَّ والدٍ ظالمٍ يُزوّج ابنته

بمن يُريد لا بمن تُريد. سوف يبقى ذكرك مرفوقًا باللوم كلِّما طالعَ الناسُ قصَّةَ ليلي

والمجنون.

مهدي: اصمَّتِي، فقد أَلصقتِ بشرَفي وِصمةَ عارٍ لا تنغسلِ إلَّا بِدمك.

ليلى: هو ذا عُنقي اقطَعُه بحدِّ سيفك وأرحني من هذه الحياة.

مهدي: لأفعلنَّ هذا بعدَ حين.

ليلى: بل الساعة إن كنتَ عربيًّا شريفًا.

مهدي: ما هذه الوقاحة؟

ليلي: هي ابنة جُورِك وظَلِمك.
مهدي: ويحك! (يهجُم عليها بالسَّيف مُجَرَّدًا).
سعد (يُمسِكُه): ناشدْتُكَ اللهُ لا تفعل.
مهدي: إنها تستحقُّ القتل.
سعد: عفوك أكبر يا عمَّاه.
ليلي: زئبان افترسا نعجةً بريَّةً ويقولان: عفواً ورحمة.
مهدي: قلتُ لك تَسْتَحِقُّ المَوتَ فدَعني.
مهدي: ويحك يا ساقِطة.
ليلي: أنت كُنْتَ سببَ سُقُوطي، فَوَيْلَ لكَ متى وقفتَ أمامَ الديَّانِ العادِلِ.

المشهد السادس

(زينب - الطبيب - مهدي - سعد - ليلي)

زينب: ما بالكم في احتدام؟
ليلي: أمِّي أُمِّي، يُمَثِّلانَ آخَرَ مشهَدٍ من مأساة حياتي المملوءة بالآلام والمصائب،
فيا موت زُرْ (يُغمى عليها).
زينب: حبيبتي ليلي. (تُحرِّكها) لا حراك بها.
مهدي: إنَّ موتها لخير من حياتها الملوثة بأقذار الغرام. إذا ماتت فليس من أسفٍ
على مثلها شقيَّة.
سعد (يضرب يداً بيدٍ على حدة): فديتُك يا ليلي.
زينب: عجلوا بالطبيب، الطبيب. ويلاه!
مهدي: انهب يا غلام وادعُ الطبيب (يخرج غلام).
سعد: آه لم يُعد من أمل بحياتها.
زينب: وا أسفاه لم تدقُّ واحدةً من بنات حواء ما ذاقته هذه الابنة التاعسة. هات
الإبريق يا سعد.
سعد: هذا هو.

زينب: انصَحْ وَجْهَهَا بِالْمَاءِ.

(سعد يفعل.)

ليلي (تتحرك): أُمِّي!

زينب: عُيُونِي، مُهْجَتِي!

ليلي: وَيْلَكَ يَا قَاسِي لَقَدْ قَرُبَ الْمَوْتِ.

علقمة: أَنْعَمْتُ صَبَاحًا.

الجميع: مَرْحَبًا بِالطَّبِيبِ.

مهدي: قَدْ اشْتَدَّتْ عَلَى لَيْلِي وَطَأَةُ الْمَرَضِ.

علقمة: سَنَصِفُ لَهَا دَوَاءً (يَجْسُ يَدَهَا وَيُظْهِرُ عِلَامَاتِ الْارْتِبَاكِ) لَا تَخَافِي يَا بُنَيَّةَ.

(إلى سعد) عَجَلْ وَجِئْنِي بِقَلِيلٍ مِنْ نَبَاتِ الْخَبَّازِيِّ.^٨

ليلي (تهذي): اقْتُلُونِي، اذْبَحُونِي، أَرِيحُونِي مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ الثَّقِيلَةِ.

علقمة: إِنَّ فِي الْأَمْرِ لَسِرًّا خَفِيًّا.

مهدي: انظُرْ هَلْ تَغَيَّرَتِ الْأَعْرَاضُ؟

علقمة: آه لَقَدْ ضَاعَتِ الْأَمَالُ.

ليلي: أُمِّي، سَامِحِنِي، أَبِي ظَالِمٌ لَا ذَنْبَ عَلَيَّ. سَامِحْنِي يَا قَيْسُ، اقْتَرَبَ مِنِّي فَأَوْدَعَكَ

لَا تَبْعُدْ بِحَقِّ الْمَحَبَّةِ، اقْتَرَبَ يَا قَيْسُ. (تستغيث) أُمِّي اسْقِنِي.

زينب: هَذَا الْإِبْرِيْقُ.

(ليلي تأخذه فيسقط من يدها وتلفظ رُوحها.)

زينب: عَجَلْ اقْتَرَبَ يَا طَبِيبَ.

علقمة (يجسُّ نبضها إلى الجمهور): لَقَدْ قَضَتْ. أَعَاضُنَا اللَّهُ بِطُولِ بَقَائِكُمْ.

(زينب تتفجّع وتبكي.)

^٨ الخَبَّازِي: بَقْلَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ الْوَرَقِ، لَهَا زَهْرٌ أَبْيَضٌ مُوَشَّى بِحُمْرَةٍ تُؤْكَلُ مَطْبُوخَةً، وَيُتَدَاوَى بِهَا، لِمَا فِيهَا مِنْ خِصَائِصٍ شِفَائِيَّةٍ. وَالْعَامَّةُ تُطَلِّقُ عَلَيْهَا: الْخُبْبِيزَةَ، وَالْخُبْبِيزِي.

لهفي على عُصن الشباب الناضر
لهفي على ليلي فإن نهارنا
وا حرّ قلبي قد قضت من يأسها
يا ليلَ قد أورثت قلبي علّة
قصفته أرياح المنون القاهر
من بعدها ليلٌ بدون أواخر
والله يرحم كلّ مرّة صابر
أبكيك يا ولدي بدمع زاخر

مهدي:

تركت العالمين بلا وداع
لقد مات السُرور بموت ليلي
هي الدنيا تصير إلى زوال
فوا لهفي على كرم الطباع
وصار العيش من سقط المتاع
وما للمرء إلا قيدُ باع

سعد (يدخل): ما هذا؟ أليلى قضت؟ يا لليلية!

دمعي عليك كديمة وطفاء
يا ليلَ لم يجن الجفاء فما جرى
يا حاملاً نعش الحبيبة لا تسرّ
رباهُ ما هذي المصيبة لم أعد
قضت الحبيبة والكئوس تعكّرت
فعليك يا ليلي السلام وحبّذا
وتلهفي يا ليل كالرمضاء
حتى جفوت ويا لأطول جفائي
مهلاً بربك لا تزد بلوائِي
أرجو الصفا وقطعت حبل رجائي
والقلب راح مع الحبيب النائي
من بعد ليلي مصرعي وفنائِي

الجميع: بعد أن ينتهي سعد من إنشاد هذه القصيدة يُغني ممثلو هذا المشهد نشيداً
مُحرزناً يُودعون به ليلي وهم يطوفون حول جثمانها المُمدد في فراشها، وهذا النشيد يُترك
حق اختياره لجوق الممثلين. وبعد هذا النشيد يُرخي الستار.

الفصل الخامس

ضريح في بريّة

المشهد الأول

(قيس - أسد)

أسد: من هنا يا سيّدي من هنا.

(قيس يدخل مكشوف الرأس حافيّ الرّجلين مُتحيّراً.)

أسد: هذا ضريح العامريّة شهيدة هواك.

قيس (ينطرح على القبر ويقول): هنا ضحيّة الهوى العُدري، وقتيلة سيف الجهل الوالدي، فيا للجريمة الهائلة! فلسوف تلعنّ الأجيال من فرّقنا وكدرّ صفاءنا، وستضرب الأمثال ببلوانا ما دام ناطق بالضاد. فالويل لك أيّها المَهدي يا بائع الذمّة وخائن الضمير! أنا ساموت وأسامحك، ولكن الله لا يُبرّك أيّها الوحش المُفترس. (سرّاً) هذه وصيّتي ويضعها على الضريح ويقول إلى أسد: أما أنت أيّها الصديق فدعني وحدي واذهب، دعني غارقاً في بحر أحزاني إلى أن ألفظ هذه الرّوح، وألحق بمن عشقتّها حتى في عالم الأبدية.

أسد: أستودعك الله يا سيدي.

قيس: جوزيت عني خيراً (يدور حول الضريح وينشد):

أيا قبرَ ليلي لو شهدناك أعولتُ
ويا قبرَ ليلي إنَّ ليلي غريبةٌ
ويا قبرَ ليلي غابتِ اليومَ أمُّها
فيا لهفَ قلبي بعدَ فُقدانِ مُهجتي
ويا لوعتي سهمُ المَنونِ أصابها
فكيف اللُّقا والقبرِ بيني وبينها
لقد ظلُّمونا واستبدُّوا فويلهم
فيا ليلَ قد حان الوداع بلا لقا
وهذي حياتي بالشُّقاء قد ابتدتُ
عليك نساءً من فصيح ومن عجمٍ
بأرضِكَ لا خالٌ هناك ولا ابنُ عمٍ
ووالدُها والحافظون لها الدُّمَمُ
فقد أخدمتُ من بعدها نارَ ذي سلمٍ^١
فأصمِّي فؤادًا كان بالوَجْدِ مُضطَّرمٍ
فيا ربِّ لا تُشفِّقْ على ظالمٍ ظلَّم
لُدُنْ تُهتِك الأسرارَ في مَوقفِ الحَكَمِ
ويا مَوتِ أحلى أنت من عيشة الألمِ
فلا عجبٌ إن كان بالمَوتِ تُختمتُ

(ينتجر بخنجرٍ ويسقط على الصَّريح مُضرَّجًا بدمه.)

المشهد الثاني

(يدخل مهدي وسعد وزينب وعلقمة وغلماان لزيارة القبر.)

زينب (تبكي): آه يا ولدي.

مهدي: مهلاً اسكُتِي لنرى من هذا المُرتمي على الصريح. (يتقدَّم يتفرَّس به) هو

قيس! يا قيس يا قيس انهض يا عمَّاه!

علقمة (يتقدَّم منه فيرى الخنجر ويجسُّ نبضه ثم يقول): لا حياة لمن تُنادي.

^١ ذو سلم: وادٍ في الحجاز، والسَّلم في الأصل شجر ورَّقه يُستخدَم في الدِّبَاغة، وبه سُمِّي هذا الموضع. وقد أكثر الشعراء من ذكره. وأخدمت نار ذي سلم: مات أهل الوادي جميعاً ولم تبق فيه حياة.

زينب: واأسفاه عليكما.

سعد: ما هذا القِرطاس؟ (يُقَدِّمُه لمهدي).

مهدي (بعد أن يفتحه): هذه وصية قيس، اسمعوا:

أنا قيس الملوِّح مجنون عامر، قد قضيتُ من فرط الحُزن والجوى، قتلتُ نفسي بيدي فلا يُطالب أحدٌ بثأري. أسأل الله أن يغفر ذنب المهدي ويسامحه على ما جناه؛ فقد قتل نفسين بسيفٍ واحد، إنما أطلبُ أن أُدفنَ بجانب ليلي، ويكتبَ على ضريحي هذان البيتان:

توسد أحجار اليمامة والقفرِ ومات جريح القلب مُندمل الصدرِ
فيا ليت هذا الحبَّ يعشقُ مرَّةً ليعلم ما يلقي المُحبُّ من الهجرِ

مهدي: نعم أنا أعترف أمام السماء والأرض بأنني اقترفتُ جرماً عظيماً؛ لقد قتلتُ ابنتي وابنَ أخي، ولم أُشفقْ على صباهما.

نعم جنينا ولم ينفعَ تجنينا ومن بليتنا ضاق الفضا فينا
قتلتُ بنتي ولم أُشفقْ على ابنِ أخي وما افترتُ بأنَّ الدهرُ يُفنينا
فيا شهدي غرام إنَّ قتلكُما لسوف يذكُره العُشاقُ باكينَا
تركتُما بيننا حُزناً نموتُ به ومُتُّما رجمَ الله المُحبِّينَا

(انتهت)